المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الخامس والعشرين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٧ جمادى الثانية سنة ١٣١٨

معرض باريس العام

سنة ١٩٠٠

"ودَّعتُ باريس مفتونًا بمرآها   وآيِ حسن تجلَّى من محيَّاها
وجاهِ ملكٍ رفيعِ الشان جاورها   دهرًا طويلاً ولم يبرح بمغناها
رواقهُ مسبطرٌ في معالمها   وبدرهُ مشرقٌ في اوج علياها
مرسومة في جبين الدهر صولتهُ   تتيهُ عجبًا بأُولاها وأُخراها
وعصبةٍ عصمتهم في صناعتهم   الهةُ الحسنِ فاستهدوا بسيماها
وخلَّدوا ذكر ارباب السيوف ومن   فاق الورى حجةً او فاقهم جاها
او خاض بحر المعاني فاجتنى دررًا   وصاغ منها حلى حسن بها باهى
او غاص في لج بحر العلم مجتليًا   غوامضَ الكون تعميمًا لجدواها
وآلِ علمٍ وفضلٍ طار صيتهم   فطبَّق الارض اقصاها وادناها
بستور ماري فلامريون كلهمُ   وبرَوْن سيكار ممن فاق اشباها
هم الأُولى في سماءِ المجد قد رفعوا   لها منارًا وأعلوهُ فأعلاها"

هذه كُلَيْماتُ صدقْ صغتها قِدَمًا   في وصفها قبل ان تجلي خباياها (١)
وقبلما تتجلَّى في مرابعها   آيات حسن يهيج الشوق ذكراها
وقبلما تتبارى في معارضها   ممالك الارض اقصاها وادناها
نثرًا ونظمًا قصدتُ الوصف فامتلكتْ   يراعتي مدهشات لستُ انساها

---

(١) الابيات المتقدمة قلتها في وداع باريس في رحلتي الاولى اليها وهي منشورة في غرة سنة ١٨٩٤

والمرءُ يحصر والاقلام يودي بها   في موقف المجد روعٌ ان تولاها
فكيف اسطيع وصفاً بعد مانُشرتْ   بيارق المجد اعلاها واسناها
وبعد ما مُلئت من كل مفخرة   من واسع الارض اعياناً واشباها

واي وصف وان جاد اليراع بهِ يقضي لبانة من يبغي ذكر الحقائق ويكرهُ ان يبخس الناس اشياءهم بعد ان يرى الامة الفرنسوية العظيمة الشان الراقية اعلي ذرى المجد المشهورة قديماً وحديثاً بامتلاكها ناصية الصناعة وقياد التجارة وبلوغها الشأو الابعد في العلوم والفنون ووقوفها موقفاً لا يجاريها فيهِ احد من حيث التفنن في اظهار عظمة الكون ومقدرة الانسان — بعد ان يراها قد افرغت الجهد لاظهار ما بلغتهُ عقول رجالها وقرائح النابغين فيها من التفنن في العلم والعمل والاختراع والاستنباط ودعتْ امم الارض جمعاء الى معرضها العام غير هيَّابة ولا وجلة تقول لهنَّ هذه مزاياي وهذا اقصى ما بلغتهُ فهلمَّ اليَّ بما عندكنَّ من بدائع الفنون وغرائب المخترعات ومتقن الاعمال وقابلنهُ بما عندي واعرضنهُ لنقد النقَّاد وحكم القضاة . ولنتبارَ كانا في هذا المضمار مضمار العمران والرفاهة . وقد اعددتُ لي ولكنَّ اجمل مدينة من مدائني بل من مدائن العالم واوسعها شوارع وارحبها ساحات واخترت اطيب بقاعها وشدتُ فيها من المباني اجملها ومن المصانع اوسعها وفسحتُ لكنَّ المجال لتشدنَ ما تباهين بهِ من فاخر البناء وتعرضن ما تشأن ويشاءُ رجالكنَّ من آثار بلدانكنَّ واعمال اهاليها من مبتكرات عقولهم ومصنوعات ايديهم من قديم وحديث . فلبيَّن دعوتها عن طيب نفس وجئنها خفافاً ثقالاً من اقاصي المسكونة من اوربا واسيا وافريقية واميركا وجزائر البحر من كل مملكة على وجه البسيطة وكل مستعمرة فيها وانفقن الاموال الطائلة على عرض مصنوعاتهنَّ وثمار حضارتهنَّ لا قصد المباهاة والمغالاة بل لغرض اسمي واعظم قلَّما يسعى العقلاءُ الاَّ اليهِ الآن وهو الفائدة المادية والادبية اي اتقان الصناعة وترويج التجارة وترقية العلوم والفنون والآداب لتزيد راحة الانسان وتتوفر لهُ اساليب الرفاهة

هذا هو المعرض الذي اتوخَّى وصفهُ في هذه الصفحات ويستحيل عليَّ ان اصف كل ما فيهِ او ان اوفي الوصف حقهُ في ما اصفهُ منهُ لانني لم استطع ان امعن النظر الاَّ فى القليل مما حواهُ ولأن من هذا القليل ما تقصر عن وصفهِ كلمات اللغة . فان النعوت المألوفة عندنا من مثل العظيم والفخيم والجميل والبديع لا تصوّر في الذهن صوراً تنطبق على ما لم ترَهُ العين ولا رأت ما يدانيهِ لكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ وغاية ما اتوخاهُ في هذه السطور ان ابسط للقاريء الكريم بعض ما علق بالذهن مما رأيتهُ في هذا المعرض او ما علقتهُ في مفكرتي

حينئذٍ وشيئًا مما استفدتهُ من مشاهدتهِ او قرأتهُ في ما كتبهُ غيري عنهُ وبعض ما كان يخطر لي من الخواطر حين وقوفي في عرصاتهِ وقيامي امام معروضاتهِ . وقد سبقني رصيفي الفاضل الدكتور فارس نمر الى هذا المعرض والى وصفهِ في المقطم فلم ارَ لي بدًّا من ان اقتفي خطواتهِ وآخذ بعض ما كتبهُ وازيد عليهِ ما كان يثبتهُ هو فيهِ لو قصد نشرهُ في المقتطف . ورأيت اتمامًا للفائدة ان استعين بالصور ليسهل على القارئ تصوُّر ما يقصر القلم عن وصفهِ

(١) وصف المعرض بنوع عام

لا مشاحة في ان هذا المعرض اوسع المعارض التي أُنشئت حتى الآن واجملها ولا يشاركهُ في هذا الوصف الاَّ معرض شيكاغو . لكنهُ يمتاز على معرض شيكاغو وعلى كل المعارض التي أُقيمت او تُقام في غير باريس من العواصم ان المدينة التي اقيم فيها هي معرض للعلوم والفنون ومنتزه لاهل الثروة وطلاَّب الرفاهة . كيفما جلتَ فيها رأيتَ العظمة والجمال والجلال رأيت صنَّاعها وبنَّاءها ومهندسيها ومخططيها قد بذلوا الجهد في ترصيعها بكل ما هو جميل يستوقف البصر ومتين يقاوي الدهر . رأيت كأَنَّ حب الوطن وحب الجمال وحب الطبيعة وحب الرفاهة تعاونت كلها حتى تجعل باريس عاصمة العواصم ونزهة الدنيا ومقصد القصَّاد . فكيف وقد فتحت صدرها الرحيب لهذا المعرض واحلَّتهُ محل سويداء قلبها وتبارى مهندسوها ومهندسو المسكونة في إحكام وضعهِ وزخرفة مبانيهِ بما لا تكاد العين تمتلئ من النظر اليهِ حتى تقول لها مادة بنائهِ واوضاع معروضاتهِ كل ما عليها فانٍ وهذه سنَّة الطبيعة توجد فيها بدائع الموجودات من اشكال الحيوان والنبات ثم تزول وتمحى صورها ليتلوها غيرها مما هو اكمل منها وارقى

فاعيدي النظر اليَّ والاستبصار وودعيني وداع الْف مفارق

الاَّ ان امتياز هذا المعرض بالسعة والجمال كثيرًا ما يدعو الى الشكوى والملال لانهُ "مهما جدَّ زائرهُ فى الاحاطة بهِ وبمحاسنهِ يشعر دائمًا بقصورهِ ويتألم من تقصيرهِ عن اخذهِ بحذافيرهِ فتضيع لذة التمتُّع برؤْية ما فيهِ بين ألم الشعور بالتقصير او القصور وبين تعب الجسد من الجولان وتعب الباصرة من البصر وكلال العقل عن الادراك" كما قال اخي الدكتور نمر واصاب. اضفْ الى ذلك ما تجدهُ النفس من الانقباض حينما تعلم ان كل تلك المباني الفخيمة تُنقض بعد ايام قلائل ولا يبقى منها غير قصرين من قصورها . وما تراهُ العين من تعدُّد المعروضات من النوع الواحد في قسم واحد من المعرض او في اقسام مختلفة منهُ حتى كأَنَّ جانبًا كبيرًا منهُ مخزن بضائع اذا رأَى المرءُ بعضها لم يعد يسرُّ برؤْية ما يماثلهُ او ما يراهُ دونهُ . وهذا مما لا بدَّ منهُ فى كل المعارض الكبيرة . والشرقي مثلنا يجد فيهِ اسبابًا اخرى لانقباض

النفس لا لعيب ينسبهُ اليهِ بل لعيب فينا فانهُ يرينا قصورنا وتقصيرنا وانحطاطنا عن كل امة من امم الارض. وسواءٌ دخل القصر التركيّ والمصريّ ورأَى عظمةً ظاهرة ولا لبابَ فيها او دخل معارض الممالك الصغيرة التي انفصلت عنا بالامس مثل السرب والبلغار او الممالك الحديثة العمران مثل بيرو واليابان لا يشعر الاَّ بالحياء والخجل . وقد افاض اخي الدكتور نمر في وصف ما شعر بهِ حين دخولهِ القصر التركي قال

" وقد اشتدَّت هذه الكآبة عليَّ وضاقت الدنيا في عينيَّ لما ايقنت ان معروضات جميع الامم الدانية والقاصية والمتمدنة والمتأَبدة تفوق معروضات امتي العثمانية وان كل دولة من دول الارض قد عنيت بعرض ما يظهر مجدها وقوتها وتقدمها وثروتها وتمدنها وانتظام حكومتها الاَّ دولتنا العلية فانها اكتفت بالتشبه بالدول الاخرى في الظاهر فاقتصرت على بناء قصر باذخ لها على مثال بعض القصور والجوامع والاسواق في الاستانة ولكنها تركتهُ فارغًا من تحفها وكنوزها ونفائسها ولم تكد تعرض شيئًا فيهِ ولا في سائر اقسام المعرض غير ازياء جنودها في معرض جيوش البر وجيوش البحر . وكأَنها خافت ان يتوهم الناس ان ملابس جنودها تُنسج في معامل بلادها لا في المعامل الاجنبية فعرضت معها مثال نسافة تصنع لها الآن في معمل اجنبي اظنهُ معملاً المانيًّا وكذلك حكًّا يوضع في النسافة لتسترشد بابرتهِ المغنطيسية في سيرها واوقفت حاجبًا على هذه المعروضات التي يخجل العثماني من ذكرها بجانب ما قربها من ازياء جنود روسيا والمانيا وفرنسا فسأَلت هذا الحاجب بالفرنسوية قائلاً أَهذه كلها صُنع بلادكم فاجابني وهو يحسبني اوربيًّا نعم ان هذه تصنع عندنا في الاستانة . فتبسمتُ واشرت الى مثال النسافة والى الطربيد والحك اللذين بجانبها وقلت لهُ أَتقول ان معامل الاستانة تصنع هذه ايضًا . فداخلهُ الريب لما رآني أَتبسم وأُعيد السؤَال متعجبًا وكأَنهُ ادرك اني لست اوربيًّا كما توهم فاجابني لا بل هذه وغيرها تصنع خارجًا ولكنها ملك الدولة . ثم صمت وتنهد فحوَّلت وجهي عنهُ وسرت في طريقي وانا اتنهد

" وقد سأَلت كثيرين من العثمانيين الذين لقيتهم في المعرض عن سبب هذا الاهمال الغريب من الدولة العلية وقلت اننا مهما شكونا من قصورنا وتقصيرنا فليس منا مَن يُنكر ان عند الدولة العلية وفي السلطنة العثمانية من النفائس والمصنوعات والحاصلات والادوات ما لو عرض في القصر العثماني لفاق معروضات اليونان وولايات البلقان على الاقل اذا لم نقل انهُ يفوق معروضان ايران والتركمان فما الذي جرى حتى ان دولتنا اكتفت ببناء قصر فخيم من الخارج وترك بعض الباعة يعرضون البسط والسجادات العثمانية والحلى الكاذبة والبضائع المزوقة

الباريزية ورضيت ان يخص باقيهُ بالملاهي والقهوات ومحلاَّت الرقص والخلاعة حتى ان كل من يأتي هذا المعرض من امم الخافقين يظن ان الامة العثمانية احقر امم الارض شأناً واحطها آداباً واقلها علماً وادناها صناعة وزراعة وانها مؤلفة من شعوب غائصة في بحار الجهل والغباوة بعيدة عن التمدن والعمران لان كل دولة من الدول وكل امة من الامم بل كل مستعمرة حتى المستعمرات الافريقية قد امتازت معروضاتها في هذا المعرض على المعروضات العثمانية كما لا ينكر ذلك احد . فلو كانت الدولة العلية لم تشارك سائر الدول في هذا المعرض لصانت كرامتها وحفظت حرمة تبعتها . اما وقد بادرت الى تشييد قصر فخيم بين قصر ايطاليا وقصر الولايات المتحدة وزانتهُ وزخرفتهُ حتى يخالهُ الرائي من جملة تلك القصور البديعة فكان الواجب ان تحفظ مقامها ومقام الامة العثمانية في اعتبار سائر الامم وتعرض بعض ما في قصور سلاطينها من الكنوز والنفائس وبعض ما في بلادها من الاشياء الفاخرة لا سيما وان بلادها تفوق سائر البلدان في كثير من حاصلات اراضيها الخصيبة وتربتها الجيدة وتمتاز عن غيرها بكثير مما جاد الله بهِ عليها من الجماد والنبات والحيوان . وفيها من المصنوعات ما لا يصنع مثلهُ في اكثر البلاد الشرقية التي سمت عليها في المعرض سموًّا عظيماً واوهمت الالوف والملايين من الذين يترددون عليهِ من جميع الامصار والاصقاع انها سابقة للبلاد العثمانية بمراحل فائقة لها في الحضارة والتمدن بمراتب"

وازيد على ذلك ان الحكومة العثمانية دفعت لانشاء القصر الخاص بها وعرض معروضاتها فيهِ اكثر مما دفعهُ كثير من الدول الاوربية كما ترى في هذا الجدول

دفعت	حكومة	النمسا	٧٥٠٠ ٠٠٠	فرنك
"	"	المانيا	٦٦٠٩ ٠٠٠	"
"	"	الولايات المتحدة	٥٠٥٠ ٠٠٠	"
"	"	المجر	٢٥٠٠ ٠٠٠	"
"	"	بريطانيا	١٨٧٥ ٠٠٠	"
"	"	تركيا	١١٥٠ ٠٠٠	"
"	"	البلجيك	١٠٠٠ ٠٠٠	"
"	"	اليونان	١٠٠٠ ٠٠٠	"
"	"	ايطاليا	٠٩٠٠ ٠٠٠	"
"	"	اسوج	٠٨٠٥ ٠٠٠	"

دفعت حكومة نروج	٥٦٠٠٠٠	فرنك
" " رومانيا	٣٠٠٠٠٠	"
" " البلغار	٣٠٠٠٠٠	"
" " بيرو	٢٠٠٠٠٠	"

لكنَّ الذين ائتمنتْهم الحكومة العثمانية على اظهار عظمتها في المعرض وعرض بضائع بلادها فيهِ اكتفوا بتشييد قصر فخيم من اعظم قصور الدول واجملها على ما تقدم بيانهُ وكانوا يستطيعون ان يتشبهوا بسائر الدول في عرض خيرات بلادهم ومصنوعات اهاليها ولكنهم لا يستطيعون ان يجاروا اصغرهنَّ وأحدثهنَّ عمرانًا في غير المواد الطبيعية فاين نظام المدارس في بلادنا العثمانية الذي يقابل بنظامها في بلاد يابان بل اين جرائدها التي تقابل بجرائد فنلندا اصغر ممالك روسيا واين شركاتها التجارية والصناعية التي تطمع في مزاحمة غيرها لعرض بضاعتها وترويج تجارتها

وكما عرَّج الدكتور نمر على القصر العثماني عند اول دخولهِ المعرض عرَّجت انا على القصر المصري فرأيت ان الشركة المصرية فعلت اكثر مما يطلب منها وبالغت في الكرم كما بالغت الحكومة المصرية في البخل فاضرَّت نفسها وكل المشتركين معها لانها شادت بناءً مصريًّا عربيًّا من اعظم المباني التي شادتها الدول العظمى واجملها لكنها وقفت عند هذا الحد من حيث حقيقة المعرض وكيف لا تقف عندهُ فليس في القطر المصري شركات صناعية حتى تعرض فيهِ مصنوعاتها من الآلات البخارية والكهربائية والهندسية والبصرية ترغيبًا للناس في ابتياعها ولا فيهِ معامل كبيرة تستطيع ان تنفق الوف الجنيهات على عرض بضائعها طمعًا بالربح الكثير من وراء ما يطلَب منها لان كل ما في القطر المصري من الانوال والمصابن والمسابك وما اشبه لا يفي بالجزء الصغير من حاجة سكانهِ. وحاصلاتهُ التي تصدر منهُ وهي القطن والسكر والبصل والفول معروفة مشهورة في كل الاسواق التي تتجر بها. نعم لو ارادت الحكومة المصرية ان تجامل الحكومة الفرنسوية وتجود بقدر من المال تشبهًا بغيرها من البلدان لوجدت في بلادها ما لا تخجل من عرضهِ في كثير من اقسام المعرض فان في مدرسة قصر العيني الطبية من المجاميع الجمادية والنباتية والحيوانية والجراحية وفي دار المساحة الجيولوجية من الحجارة والمعادن والجواهر وفي حكمدارية مصر من الحقائق الاحصائية وفي مدرسة الصناعة من الاشغال والمصنوعات وفي مدرسة الزراعة من الحبوب والبزور وفي سائر مدارس الحكومة من اشغال التلامذة والاحصاءات وعند النسَّاجين في المحلَّة وغيرها وعند الخراطين وعمَّال المشربيَّة في القاهرة واسيوط ما لا تخجل مصر بعرضهِ وفي متاحفها ما لا مثيل لهُ في الخافقين من آثار المصريين واليونانيين والعرب حتى

لو عرضت جزءًا صغيرًا منهُ لاستوقف الابصار ورأَيت الوفًا من الناس يتقاطرون الى القطر المصري بعد ذلك يطلبون المزيد من رؤْية ما رأَوا بعضهُ في معرض باريس

ولا بدَّ من ان تعتذر الحكومة المصرية عن بخلها هذا بان في متاحف اوربا من الآثار المصرية اكثر كثيرًا مما يمكنها ان تعرضهُ في هذا المعرض فيراه الاوربيون كل يوم وان ما سوى ذلك من مصنوعات البلاد لا يقاس بمصنوعات غيرها من البلدان ولا هو زائد عن حاجة اهلها وان حاصلاتها الزراعية قليلة الانواع يعرفها كل من يتعاطى الاتجار بها كما سبق بيانهُ فلا داعي لانفاق النفقات الطائلة على ما لا فائدة كبيرة منهُ وان اظهار عظمة البلاد ومجدها من الكماليَّات والقطر المصري لم يكتفِ من الحاجيات حتى الآن فلا يليق بهِ ان يثب الى الكماليات وثوبًا . هذا عذر الحكومة المصرية في ما نظن وهو احفظ لكرامتها مما فعلتهُ الحكومة العثمانية التي انفقت خمسين الف ليرة لكي تقنع الملا ان ليس في بلادها شيءٌ يستحق العرض غير القهاوي والراقصات

ومساحة ارض المعرض ١٠٨٠٠٠٠ متر مربع او نحو ٢٦٠ فدانًا اقيم في نصفها مبانٍ فخيمة بديعة بعضها طبقة واحدة وبعضها طبقتان او ثلاث وترك النصف الآخر طرقًا ومسالك وحدائق وخمائل . ولما تعذر وجود بقعة واحدة في باريس تكفي هذه المباني كلها شادوها في بقعتين كبيرتين الواحدة في الروض المعروف بشان دو مارس (روض المريخ) والثانية في الساحة الكبيرة المعروفة بساحة الانفاليد التي امام مدفن بونابرت وملجإِ الجنود المصابة واضافوا اليهما ضفتي نهر السين اللتين بينهما وقصر التروكادرو وما حولهُ وحول برج ايفل من البقاع وجانبًا مما يلي ساحة الكونكورد بنوا فيهِ قصرين ثابتين للفنون. ثم رأَوا ان هذه البقاع كلها لا تكفي لعرض المعروضات ولا تشبع مطامع العارضين فاضافوا اليها جنان فان سان حيث اقترح البعض ان ينشأَ المعرض كلهُ . وحوَّطوا البقاع الاولى بدرابزين من الخشب فتحوا فيهِ ٣٦ بابًا في جهات مختلفة منهُ حتى يسهل البلوغ اليهِ من كل انحاء المدينة لا يدخل منها احد الاَّ وفي يدهِ ورقة الدخول وثمن الورقة اصلاً فرنك ولكنهُ هبط في اثناء المعرض حتى بلغ اربعين سنتيماً او ثلاثين عدا ما يدفعهُ الزائر للدخول الى الملاهي ونحوها كقصر الازياء والكرة الفلكية وقصر البصريات وقصر الزجاج ومناجم المعادن . واختلف عدد الداخلين من هذه الابواب فصعد في بعض الايام الى ستمئة الف نفس وهبط في غيرها الى مئتي الف او اقل . وكان الازدحام يشتدُّ في بعض الاوقات وبعض الاماكن حتى يضطر المرءُ ان يقف في مكانهِ دقائق كثيرة لا يستطيع ان يخطو فيها خطوة واحدة لكننا لم نرَ ولم نسمع ان احدًا اصيب

بمكروهٍ من جراء ذلك لان لجنة المعرض عنيت بكل ما يحفظ نظامهُ ويجعلهُ مثالاً في الراحة والنظافة والاتقان فاولاً وضعت فيهِ اكثر من الفين من الحرَّاس ورجال البوليس لحفظ الامن والنظام فيهِ ومنع كل اعتداءٍ واختلاس وعينت جماعة من ركَّاب الدرَّاجات ليطوفوا حولهُ ليلاً ويغيثوا كل من يستغيث او يقع في ضيق . ولما كان نهر السين يخترق المعرض عينت جماعة من الغواصين لينتشلوا من يقع فيهِ

ثانياً . عينت ادارة طبيَّة خاصَّة بالمعرض واقامت فيها كثيرين من الاطباء والجرَّاحين وعينت لها ثلاثة اماكن فيهِ وجعلت لكل نقطة من نقط البوليس نقطة طبيَّة ايضاً وذلك للمبادرة الى اغاثة كل من يصاب بآفة

ثالثاً . فتحت فيهِ سبعة مكاتب للبوسطة والتلغراف والتلفون وخمسين مكتباً عمومياً للتلفون متفرقة في جوانبهِ عدا بعض المكاتب الخصوصية للبوسطة والتلغراف والتلفون لكي يسهل على زوارهِ والعارضين فيهِ ان يتكاتبوا ويتخاطبوا ويكاتبوا غيرهم او يخاطبوهُ من غير ان يتجشموا مشقة الخروج منهُ الى اماكن البوسطة والتلغراف والتلفون

رابعاً . جعلت وسائط الانتقال فيهِ من احدث المخترعات او اعظمها اتقاناً فمنها الروافع التي يرتفع بها الناس في المباني العالية كما في بعض الفنادق الكبيرة في مصر ومنها السيور المتحركة على سطح مائل فيقف الانسان على السير منها في الطبقة السفلى فيرتفع بهِ الى الطبقة العليا ويغنيهِ عن الصعود على الدرج . وفي المعرض ٢٨ سيراً من هذه السيور المتحركة متفرقة في جهاتهِ المختلفة. ومنها السكة الحديدية الكهربائية ولها قطرات عديدة تتوالى كل دقيقتين او ثلاث فتسير بالراكب داخل المعرض من القسم المسمَّى اسبلاناد الانفاليد الى القسم المسمى شان دو مارس ثم تدور من عند برج ايفل وقصور الدول الى ان ترجع الى اسبلاناد الانفاليد بعد ان تقف قليلاً في محطاتها الخمس داخل المعرض . ومنها المساطب الدوَّارة وهي ثلاث مماشٍ من الخشب موضوعة احدها الى جانب الآخر الاول منها ثابت والثاني بطيء السير والثالث سريع والممشيان الاخيران يدوران بالكربائية . ويوصل الى هذه المماشي من احدى عشرة محطة وجعل الدخول اليها نصف فرنك فاذا صعد الانسان اليها فامَّا ان يقف على الممشى الثابت منها او ينتقل الى الممشى البطيء الحركة فيدور بهِ بسرعة اربعة كيلو مترات وربع كيلو متر في الساعة او الى الممشى السريع فيسير بهِ بسرعة ثمانية كيلومترات في الساعة . ولو لم يكن هذا الاسلوب جديداً ما ظهرت لهُ مزية على غيرهِ من طرق الانتقال لاسيما في ايام الحر واوقات شروق الشمس اذ يضطر السائر بهِ ان يقف على قصب رجليهِ في عين الشمس الى ان يصل الى الباب الذي يريد الخروج

منهُ واذا لم يسرع الى الخروج حالاً اضطرَّ ان ينزل بعيداً عنهُ ويعود اليهِ ماشياً ولذلك قلَّ استعمالهُ وافلس اصحابهُ مراراً . وفي المعرض مركبات صغيرة مثل مركبات العجزة والمفلوجين يركبها التعابى والطاعنون في السن ويذهب بهم الذين يجرُّونها الى حيث شاؤُوا داخل قصور المعرض ومتاحفهِ او خارجها واجرة الساعة في المركبة منها فرنكان ونصف فرنك

خامساً . انشأَ الصيارفة في المعرض مصارف عديدة وفتحت البنوك فروعاً لها فيهِ لقضاء الاشغال المالية التي تقضيها المصارف والبنوك في سائر المدن ولا غرابة في ذلك لانهُ مدينة كبيرة قلما يكون الذين فيها اقل من مئتي الف نفس

سادساً . اتقنت لجنتهُ اسباب النظافة من كنس ورش واقامت في جهات عديدة منهُ مباول مجانية يجري الماءُ دائماً فيها فيغسلها وبنت مراحيض كثيرة محكمة الصنع والوضع في كل ناحية منهُ واتبعت بعضها بمغاسل فيها ماءٌ بارد وحارٌّ وجعلت اجرة الدخول اليها من عشر الفرنك الى ثلاثة ارباعهِ وجعلت لها كلها مصارف تنزح اليها فتبقى نظيفة لا رائحة لها يختلف الناس اليها رجالاً او نساءً على غاية الحشمة والوقار كأنهم اخوة واخوات اولاد عائلة واحدة. او كأَن كلاًّ منهم مشغول بمطالب عقلية سامية فلا يلتفت الى ما سواها

وقد أُنشئ فيهِ كثير من المطاعم تطبخ كل يوم ما يقوت مئتي الف نفس . ويجلس فقراءُ الزوَّار على الكراسي المبثوثة في عرصاتهِ يفتحون مزاودهم ويأكلون مما معهم من خبز ولحم وفاكهة . ومع ذلك كلهِ لا ترى اثراً لفضلات الطعام وقشور الفاكهة ولا لنفاية الآلات الكثيرة الدائرة فيهِ حتى الذبان الذي يعمي عيوننا في القطر المصري لم نرَ شيئاً منهُ في هذا المعرض ولا في باريس كلها . ويقال ان لجنة المعرض حظرت على الناس البصق في ساحاتهِ ومسالكهِ فاستهجنوا ذلك منها لكنهم عملوا بهِ على ما يظهر . وكثيراً ما كنا نقف في مكان يشرف على جماهير كثيرة من الزوار نرقب حركاتهم وسكناتهم فنراهم يموجون كالبحر الزاخر واذا زحم احد غيرهُ التفت اليهِ واعتذر بكل ادب ووقار. ولم نرَ احداً لابساً ملابس وسخة او رثة ولا احداً تأْنف من الوقوف معهُ او الجلوس اليهِ . وكأَن الناس فقدوا قوة النطق فلا تسمع الاَّ صوت انفاسهم ووقع خطاهم واذا كلَّم احد غيرهُ كلمهُ همساً حتى لا يزعج غيرهُ بصوتهِ

والحرَّاس غاية في اللطف والدعة والتيقُّظ رآني احدهم مرةً اتطالُّ الى قراءَة ما كُتِب تحت صورة في قصر مدينة باريس وهو احد ابنية المعرض كما سيجيءُ وانا لا استطيع قراءَتهُ لبعد الصورة ودقة الخط فدنا مني واعطاني كتاباً فيهِ اسماءُ المعروضات في ذلك القصر ولما التفتُّ اليهِ لاشكرهُ رأَيتهُ عاد الى مكانهِ بين الحراس كأَنهُ لا ينتظر اجراً ولا شكوراً . ورآني

حارس آخر اتعب في البحث عن معروضات مدغسكر فدنا مني وقال إن تسمح شرحتُها لك كلها فقلت حسناً فقال أبالفرنسوية ام بالانكليزية قلت الانكليزية اسهل عليَّ فهماً فاخذ يشرح لي معروضاتها ومناظرها واحداً واحداً وبقي نحو ساعة على هذا النمط

والخلاصة ان المعرض وما فيهِ آية في الجمال والاتقان والنظافة وكل ما يفيد ويسرُّ ويبهج. وعسي ان يكون هذا رأي كل اخواني الشرقيين الذين زاروهُ وان يبثوا ذلك بين قومهم لكي نقتدي بالاوربيين في اتقان اعمالنا ونجتنب كل ما يُعدُّ من الشوائب في مراتع العمران

(٣) اقسام المعروضات

ان اللجنة التي تولَّت انشاء هذا المعرض وتنظيمهُ قسمت الاشياء التي اريد عرضها فيهِ الى ١٨ باباً وقسمت هذه الابواب الى ١٢١ فصلاً وعينت لهذه الابواب والفصول اماكن خاصَّة في اقسامهِ المختلفة وتركت جانباً كبيراً منهُ لبقية الدول فجارينها في تقسيم معروضاتهنَّ على قدر الامكان فعرضت بريطانيا العظمى معروضاتها في ٢١ مكاناً من امكنة المعرض والولايات المتحدة الاميركية في عشرين مكاناً والنمسا والمانيا كلٌّ منهما في ١٩ مكاناً وبلجكا في ١٧ مكاناً وايطاليا في ١٥ مكاناً واسبانيا في ١٣ مكاناً واسوج في ١٢ مكاناً ونروج في ثمانية امكنة واليونان في مكان واحد

والباب الاول من الابواب المشار اليها يشمل كل ما يختص بالتعليم والتهذيب وفصولهُ ستة وهي التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي والتعليم العالي وتعليم الفنون كالتصوير والنقش والموسيقى وتعليم الزراعة وتعليم الصناعة والتجارة

والمعروضات الفرنسوية التي من هذا الباب تشغل مكاناً واسعاً جدًّا من الجناح الايسر من معرض شان دو مارس ومن قصر مدينة باريس ومن معارض بعض المستعمرات الفرنسوية ” وفي جملة ذلك ما عرضتهُ نظارة المعارف الفرنسوية من الاوراق والدفاتر والرسوم ونحوها مما يستعمل في تعليم الاطفال وعرضت مثال مدرسة من مدارس الاطفال مستوفياً كل ما يكون فيها من كرسي المعلم ومقاعد التلامذة التي يجلسون عليها والالواح الحجرية والخشبية والصور والخرائط المعلقة على جدرانها ومكتبتها وكتبها الى غير ذلك. ودفاتر التلامذة حاوية خطوطهم وانشاءهم وما يرسمونهُ وما يصورونهُ وهلمَّ جرًّا . ثم ما يعملهُ تلامذة المدارس الابتدائية والعليا مثل المصنوعات الخشبية والحديدية في مدارس الصبيان واعمال الابرة والصنَّارة والوشي والتطريز وما اشبه في مدارس البنات . ويتلو ذلك معروضات مدارس المعلمين والمعلمات مثل رسوم تلك المدارس وصورها وصور فرق التلامذة فيها وتقارير مفتشيها عنها. وتتلوها معروضات

المدارس الليلية مثل صورها ورسومها ومكاتبها وما يشترك فيهِ تلامذتها كبنوك الاقتصاد الخاصة بها وجمعيات التعاون وجمعيات التلامذة الذين تخرَّجوا فيها . وبجانب معروضات نظارة المعارف الفرنسوية معروضات المدارس المستقلَّة عن الحكومة وهي كثيرة مثلها ومعروضات المدارس القديمة مثل الكتب التي كانت تُدَرَّس فيها والاشغال التي كان التلامذة يشتغلونها فيها وطرق تعليمها وامثلة تُظهر شكل بنائها وكيفية ترتيبها والملابس التي كان التلامذة يلبسونها ونحو ذلك

هذا بعض ما عرضتهُ فرنسا في شان دو مارس ممَّا يتعلَّق بالتعليم الابتدائي اي بالفصل الاول من الفصول الستة المدرجة في الباب الاول ” . وقد جرت هذا المجرى في سائر فصول هذا الباب وجارتها الدول الاوربية بنوع عام والولايات المتحدة الاميركية بنوع خاص. ولم تكتفِ الولايات المتحدة بوصف مدارسها وطرق التدريس فيها وعرض اشغال التلامذة ومصنوعاتهم بل اقترحت على علمائها انشاء تسعة عشر تقريرًا مسهبًا عن مدارسها المختلفة الانواع واحوال التعليم فيها كمدارس الاطفال والمدارس الابتدائية والمدارس العالية والمدارس الكلية والمدارس الجامعة ومدارس الزراعة ومدارس الصناعة ومدارس المعتوهين ومدارس الصيف والجمعيات العلمية ومدارس السود ومدارس تعليم هنود اميركا. وطبعت من كل تقرير الوفًا والوف الوف من النسخ وهي توزَّع مجانًا على من يطلبها ليقف كل احد على احوال التعليم في اميركا. ولابدَّ من ان تكون قد انفقت نفقات طائلة على انشاء هذه التقارير وطبعها ونشرها لان بعضها اكبر من المقتطف . وقد لخَّصتُ واحدًا منها في باب الزراعة في هذا الجزء

ولم أُطل الوقوف في القسم الفرنسوي الخاص بهذا الباب ولا في اقسام الدول الاوربية الكبرى لعلمي ان التعليم فيها كلها قد بلغ من الدرجات اسماها لكنني اطلت الوقوف في قسم روسيا لانها دولة اسيوية كما هي اوربية ولأن الشائع بين ظهرانينا ان شعوبها لا يزالون في حالة الهمجية والجهل وان مدارسها مقيدة بقيود من حديد حتى يضطر تلامذتها ان يجاهروا بالعصيان من وقت الى آخر فلما نظرت الى معروضات مدارسها وما يتعلَّق بها اتضح لي انها سائرة سيرًا حثيثًا في سبيل الارتقاء سيرًا يدهش الشرقي الذي اعتاد بطء الحركة وبطء السعي وبطء الارتقاء . أَوَ يُصدَّق انهُ لم يكن في روسيا سنة ١٨٨٩ سوى خمس مدارس للتجارة مثلاً فصار فيها سنة ١٨٩٩ خمس وستون مدرسة اي زاد عددها ثلاثة عشر ضعفًا في عشر سنوات وكان عدد تلامذتها الفًا فصار اربعة عشر الفًا اي زاد اربعة عشر ضعفًا في عشر سنوات. فاذا

جرت بلاد الروس كلها على هذا النمط من الارتقاء مع ما هو معلوم من نمو شعوبها وازدياد فتوحها حقَّ للانكليز ولدول اوربا واسيا ان توجس خيفةً من تقدمها وحقَّ لعلماء الاجتماع ان يقولوا انهُ ان لم يكن مستقبل الارض للانكليز ولغتهم فهو للروس ولغتهم. وقس على مدارس التجارة مدارس الزراعة والصناعة والعلوم والفنون . والظاهر ان الروسيين قصدوا ان لا يبقوا مزية لجيرانهم الاَّ اقتبسوها منهم وزاحموهم عليها فترى السجاجيد العجمية بين مصنوعات بناتهم والشرانق والحرير والقطن مما يُجنى في مدارسهم الزراعية . واشغال البنات في التصوير والرسم والتطريز والخياطة والحبك بالغة غاية الاتقان وعلماء الجيولوجيا والمعادن والحشرات لم تثبط هممتهم سعة البلاد فرادوها ودرسوا طبائعها وطبائع ما فيها وعرضوا مجموعات كثيرة منها

ثم انتقلتُ من معرض بلاد الروس الى معرض بلاد اليابان وقلت هذه دولة شرقية محضة وقد ولجت ربوع العمران الاوربي حديثاً بعد ما ولجهُ اهالي مصر والشام فلما وقع نظري على احصاء مدارسها واعمال تلامذتها اطرقت خجلاً وحياء فقد كان عدد المدرسين في مدارسها الابتدائية ١٥٧٤٩١ سنة ١٨٨٢ فصار ٦٢٦١٤٣ سنة ١٨٩٨ وكان عدد تلامذتها ٣٠٨٩١٠٠ فصار ٤٣٤٧٣٤١ واعمال التلامذة في الرسم والتصوير والنقش واعمال مدارس الصناعة ومدارس الزراعة ومدارس البنات ومجموعات الباحثين عن جغرافية البلاد وجيولوجيتها ومعادنها وحشراتها وحيواناتها واسماكها والآلات العلمية التي صنعت فيها ولاسيما مقاييس الزلازل والآلات الكهربائية كل ذلك مما يقضي بالعجب العجاب ويوقف الاوربيين موقف الحيرة مخافة ان تنهض امم المشرق كلها نهضة اليابان فتزاحمهم في اسواق التجارة وتحرمهم من الربح الكثير الذي يربحونهُ الآن منها ومن غيرها . ولا يبعد ان يكون هذا من جملة الاسباب التي حرَّكت الامم الاوربية او بعض زعمائها لمعاجلة الصين قبلما تستتمُّ نهضتها وتتسنَّم غارب العمران

والباب الثاني في الفنون الجميلة وفصولهُ اربعة وهي (١) التصوير والتمثيل والرسم (٢) الحفر وطبع الحجر (٣) عمل التماثيل ونقش النياشين والنقش على الحجارة الكريمة (٤) صناعة البناء

ومعروضات هذا الباب متفرقة في اماكن كثيرة من المعرض واكثرها مجموع في قصرين كبيرين شادتهما فرنسا من الحجر والمرمر وقد رأيت ان اسهب الكلام عليهما هنا فاقول

قصرا الفنون

كلما انشئَ معرض عامٌّ في باريس بقي منهُ اثر راسخ يدلُّ عليهِ والاثر الباقي من المعرض السابق برج ايفل وهو كالشهرة واسع المدى قليل النفع فاراد الفرنسويون ان يبقوا لهذا المعرض اثرًا يليق بهِ من حيث المهارة في اتقان الصناعة ويكون منهُ نفع دائم فاقاموا جسر الاسكندر

وسيأتي وصفهُ في الكلام على ابنية المعرض وانشأُوا هذين القصرين ووثَّقوا اركانهما واحكموا بنيانهما وزينوهما بمنتهى ما وصلت اليهِ صناعة البناء والنقش . احدهما اكبر من اخيهِ كثيرًا وبينهما شارع كبير وخمائل نضرة واتموا بناءهما في سنتين من الزمان وانفقوا عليهما مليونًا من الجنيهات. والصغير منهما جُمعت فيهِ بقايا الفنون الفرنسوية من اقدم عهدها الى سنة ١٨٠٠ وهو مثلَّث الشكل واجهتهُ مزدانة بالاعمدة الكبيرة ذات التيجان الايونية وبابهُ الكبير شاهق فوقهُ قناطر متراكزة ونقوش بارزة وتماثيل قائمة على اوضاع شتَّى وعلى جانبيهِ مجموعان من التماثيل البديعة وغلقا الباب من النحاس المشبك كأَنهُ اغصان واوراق وازهار نظمت بعضها مع بعض على اشكال جميلة . والداخل من هذا الباب يرى اولاً بهوًا كبيرًا فوقهُ قبَّة شاهقة والجدران التي حول هذا البهو اسفلها من المرمر الاصفر وفوقها صفائح من المرمر المعرَّق الذي يغلب فيهِ اللون الاحمر . والى اليمين واليسار سلَّمان عريضان يوصل منهما الى غرف ومقاصير كبيرة تدور حول القصر ورواقين امامها ووراءها وفي هذه الغرف والمقاصير ورواقيها بدائع الصور والتماثيل والخزائن والموائد والكراسي والمقاعد والبسط والستائر والساعات والصحاف والاسلحة وكتب الخط والموشيات والمطرَّزات وآنية الكنائس كالصلبان والكؤوس والمذابح والاشعَّة وذلك كلهُ من اقدم عهد الحضارة في فرنسا من عهد الرومان الى سنة ١٨٠٠. ومما يستوقف النظر بنوع خاص الاسلحة القديمة وصور ملوك فرنسا وملكاتها وربات الجمال فيها والحلى القديمة والساعات والمراوح والآنية الذهبية والفضية ومنسوجات الغوبلين وانواع الخزف المشهور مثل خزف بالسي وخزف سفر وخزف مرسيليا . والمصنوعات التي صُنعت بين سنة ١٦٠٠ و ١٨٠٠ من اجمل ما رأتهُ عيني حتى لا اكاد اصدّق ان صنَّاع القرن التاسع عشر فاقوا صنَّاع القرن الثامن عشر والسابع عشر في شيءٍ من ذلك

وسيُعطَى هذا القصر لمدينة باريس بعد انتهاء المعرض فتبقيهِ دارًا للتحف بدل العشرين مليونًا من الفرنكات التي ساعدت بها لجنة المعرض . ومن العجب ان مدينة فيها متحف اللوفر ومتحف لكسمبرج والتروكادرو ومتاحف اخرى، غيرها لا تكتفي بها بل تطلب المزيد دوامًا لكي يرتقي الذوق الصناعي في اهلها و يرغب الغرباء في المجيء اليها وإنفاق الاموال فيها . فكأَنها تتاجر بمعارضها لتربح تقدُّم اهلها وازدياد ثروتهم وهذا هو الاتجار النافع والسعي الحميد

والقصر الكبير الى الغرب من القصر الصغير وهو معرض لما صنعهُ ارباب الفنون في العشر السنوات الاخيرة مساحتهُ ٤٠٠٠٠ متر مربع اي نحو عشرة افدنة وهو جامع بين فخامة البناء ودقَّة الصناعة وكثرة الزخرفة . ولم ينهج مهندسوهُ منهجًا واحدًا في بنائهِ بل جمعوا فيهِ بين

الاساليب اليونانية والرنسنس (التجديدية) التي من عهد لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر ولم يكتفِ الصنّاع بتضليع الاعمدة المحيطة بهِ وزخرفة تيجانها بل ادخلوا بين اضلاعها اوراق السنديان وثمرهُ لزيادة الزخرفة والتفنُّن في النقش

ومدخل هذا القصر من الجهة الغربية قائم بين اعمدة مزدوجة داخلها كوًى كبيرة فوقها صور بارزة من الخزف المدهون الملوَّن تمثل تاريخ الفرنسويين وطرقهم المعاشية من اقدم عهدهم الى الآن وهي محيطة بالقصر كلهِ تحت افريز سطحهِ . وعند الزاوية اليمنى امام الداخل تمثال الصناعة وهو رجل في يدهِ اكليل وفوقهُ ملائكة تتوّجهُ والى اليسار تمثال العلم وهو امرأة على جواد في يدها مصباح المعرفة (والصناعة مذكر في اللغة الفرنسوية والعلم مؤنث ولذلك تمثَّل الصناعة بصورة رجل والعلم بصورة امرأة) وفوق الباب امرأة عارية خارجة من صدفة وتماثيل كثيرة من البرنز . وغلقا الباب كانهما غاب من الاغصان والازهار وداخلهُ بهو كبير على هذا النمط من النقش والزخرفة وعلى عضائدهِ صفائح من حجر السليماني عليها رسوم من النحاس

ولما كان هذا القصر معرضاً لما صُنع في العشر السنوات الاخيرة من الصور والتماثيل والرسوم والنقوش وكل ما تفنَّن الصنَّاع في عملهِ ونقشهِ كالبسط والستائر والكراسي والموائد والمقاعد والخزائن والكؤُوس وآنية الزجاج والخزف والخشب ترى غرفهُ ومقاصيرهُ واروقتهُ ودارهُ الكبيرة مشحونة بهذه المعروضات وترى الناس يموجون فيهِ افواجاً افواجاً ذهاباً واياباً رجالاً ونساءً من كل اقطار المسكونة كما ان ما هو معروض فيهِ منتقًى من كل البلدان والممالك من فرنسا والمانيا وبريطانيا واسبانيا وايطاليا وروسيا واميركا وسائر الممالك الاوربية

وتبلغ المعروضات الفرنسوية فيهِ	٢٦١٢
والاميركية	٠٤٢١
والروسية	٠٤٢٠
والبريطانية	٠٣٤١
والالمانية	٠٢٤٠
والسويسرية	٠٢٣٥
والنمسوية	٠٢٢١
والايطالية	٠٢١٦
والدنمركية	٠١٨٦
والاسبانية	٠١٦٣

والبرتغالية ١٦١.
والبلجية ١٥٤.

وقس على ذلك معروضات سائر الممالك حتى تركيا عرضت ١٣ صورة لمصوّرة وستة مصورين . والمصورة اجنبية كما يظهر من اسمها والمصورون الستة تدل اسماؤُهم على ان ثلاثة منهم ارمن وواحداً ايطالي وواحداً اسرائيلي والسادس اسمهُ ادغار شاهين . اما البلدان التي انفصلت عنا فقد عرضت اكثر منا كثيراً فالسرب عرضت ٤٦ صورة و ٩ تماثيل واليونان عرضت ٥ صور و ٢٦ تمثالاً والبلغار عرضت ٢٥ صورة و ١٨ تمثالاً

وقد تفنَّن النقاشون في نحت بعض التماثيل فنحتوا بدن التمثال من رخام ابيض وشعرهُ من رخام اشقر وثيابهُ من رخام ملوَّن مثال ذلك تمثال الطبيعة وهي كاشفة ستارها وسافرة عن وجهها بدنها من الرخام الابيض وثوبها من الرخام المعرَّق بالاحمر والاصفر وشعرها من الرخام الاشقر الذهبي ورداؤُها من المرمر الضارب الى الصفرة

ووصْف ما في هذا القصر من الصور والتماثيل يملأُ مجلداً كبيراً ولا يستطيعهُ الاَّ المصور الماهر والنحات البارع اذا امتلكا ناصية الانشاء وأُعطيا موهبة الاجادة في الوصف ولذلك لم احاول الجري في هذا المضمار

ولا يسع الشرقي الاَّ ان يندهش من تطرُّف الاوربيين في تصوير النساء وتمثيلهنَّ عاريات على اوضاع مختلفة لا لان جسم الانسان قبيح يجب سترهُ كما يزعم الجمهور بل لان بعض تلك الصور والتماثيل لا يقتضي ان يكون عارياً . فاي امرأة تلاعب طفلها وهي عارية او تقيم في الفلاة ولا ثوب يسترها او يقيها من الحر والبرد واي غانية تقابل حبيبها عارية . فلو اكتفى الصناع بتعرية ابدان المستحمات والمغتسلات والسابحات والتماثيل المراد بها تمثيل معنىً من المعاني كالفضيلة والحقيقة والمحبة لالتُمس لهم عذر اما مبالغتهم في تعرية صوَر النساء والرجال ايضاً في ما تصلح التعرية لهُ وما لا تصلح فغلوٌّ لا مسوّغ لهُ. وقد أَلفت عيون اكثر الاوربيين ذلك فترى نساءهم يقفنَ امام صور الرجال العراة والنساء العاريات غير مباليات الاَّ الانكليزيات والاميركيات فاني رأَيت بعضهنَّ يغضضن الطرف اذا رأَينَ صورة عارية ويتجاوزنها مسرعات

ودار هذا القصر فسيحة جدًّا على شكل صليب وهي مسقوفة بالزجاج وبعض الواحهِ كبير طولهُ ثلاثة امتار ونصف متر وعرضهُ متر وسمكهُ سنتيمتر وهو منحنٍ حسب شكل السقف المحدب ومنظر هذا السقف من الخارج غير جميل يكاد يشوّه منظر القصر كلهِ ولكن الضرورة دعت اليهِ وللضرورة احكام. وستكون هذه الدار معرضاً للتماثيل والخيل والحاصلات الزراعية

اما الآن فهي مملوءة بالتماثيل تراها فيها كغاب من الاشجار يحار المرء امام ايها يقف وفي ايها يمعن نظرهُ ولاسيما اذا كان وقتهُ محدوداً مثلنا . وهي مختلفة الاقدار والاشكال والاوضاع من الرخام الابيض الناصع البياض الذي يكاد يشفُّ عما وراءهُ الى الرمادي فالضارب الى الصفرة فالضارب الى الزرقة فالاسود ومن البرنز والجبس وهلمَّ جرًّا . وكثيرًا ما ترى تمثالاً من اجمل انواع المرمر او البرنز ولم ينل الاَّ نشان النحاس والى جانبهِ تمثال من الجبس وقد نال الجائزة العظمى او نشان الذهب لان العبرة في اتقان الصنعة لا في نوع المادة

ولقد كنا نودُّ ان نرى مصوّرينا البارعين من مصر والشام يتبارون مع غيرهم من المصورين ويعرضون بعض صورهم في هذا القصر ولكن أنَّى يكون لهم ذلك وهم يعجزون في الغالب عن دفع نفقات السفر واموال الحكومة التي هي اموال الامة يُبخل عليهم بها

وما كنت اشعر بهِ من الكآبة حينما ارى بقية مباني المعرض وافكر في انها زائلة كلها مع ما فيها من الجمال وحسن الصنعة ومع ما أُنفق عليها من النفقات الطائلة لم اشعر بشيءٍ منهُ لما رأيت هذين القصرين لانهما مبنيان من الحجر والمرمر والمعدن فلا تزيدهما الايام الاَّ جمالاً ومهابةً ولا يضيع درهم انفق على تشييدهما

وقد رأت فرنسا ان تعرض بعض ما صنعهُ مصوروها ونحَّاتوها بين سنة ١٨٠٠ وسنة ١٨٩٠ فعرضتهُ في جانب من القصر الكبير فملأَ القسم الغربيَّ منهُ من ذلك تمثال بونابرت والنحل على حلتهِ وهي مبطَّنة بالفرو لكن مادتها ومادة فروها من الرخام الابيض . وتمثال ايوب الصديق وكثير من الصور الصغيرة والكراسي والمقاعد والاسرَّة وسرير ابن بونابرت وخزانة جواهر جوزفين ومصنوعات كثيرة من الزجاج الملوَّن والخشب المرصَّع والخزف المنقوش . وترى على بعض الصور شيئًا كالضباب كأنها تُرَى من وراء زجاج يغشيها او كأنها ترى في الليل

ولم تكتفِ فرنسا ولا الدول العارضات معها بما عرضنَهُ في هذا القصر بل عرضنَ معروضات كثيرة من هذا القبيل في شان دو مارس والانفاليد وقصور الدول بعضها قديم جدًّا وبعضها حديث حتى لم يخلُ قصر من قصور الدول من الصور والتماثيل وما اشبه من المصنوعات الفنية واكثرها ثمين جدًّا مما يفاخر بهِ الملوك كاسلحة بعض سلاطين العرب وكالصور التي عرضها امبراطور المانيا وكالتحف الكثيرة التي عُرِضت في قصر مدينة باريس وقصر اسبانيا والمجر وبلجيكا واليونان

وقد فتشتُ بنوع خاص عما عرضتهُ الدول الشرقية كالصين واليابان وبعض الممالك الاوربية الصغيرة وبعض البلدان الاميركية القاصية فرأيتها كلها تفوقنا في تفنُّن صنَّاعها ولا

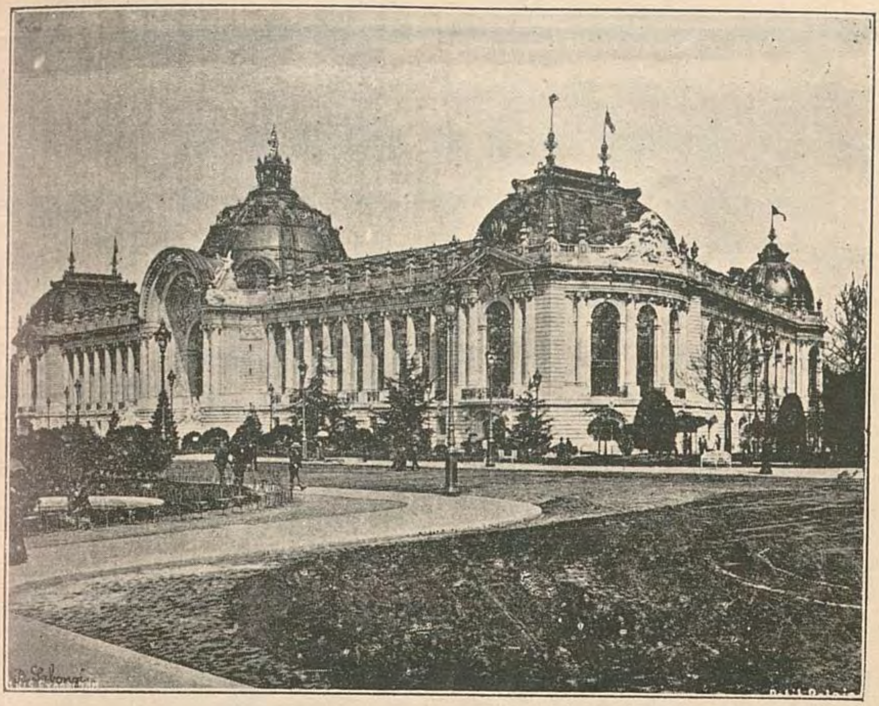

قصر الفنون الصغير

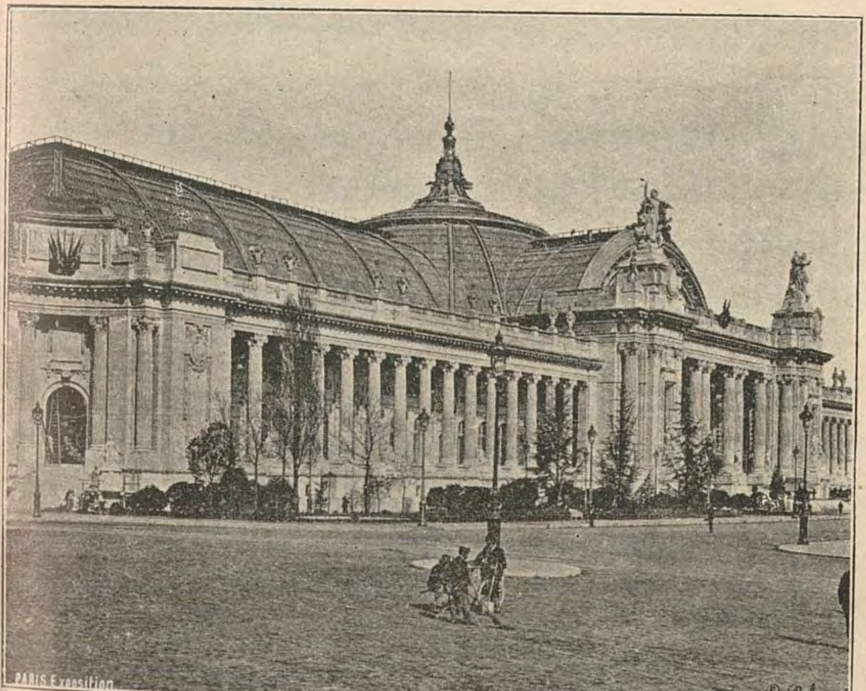
PARIS Exposition
Ph. Sabongi

قصر الثنون الكبير

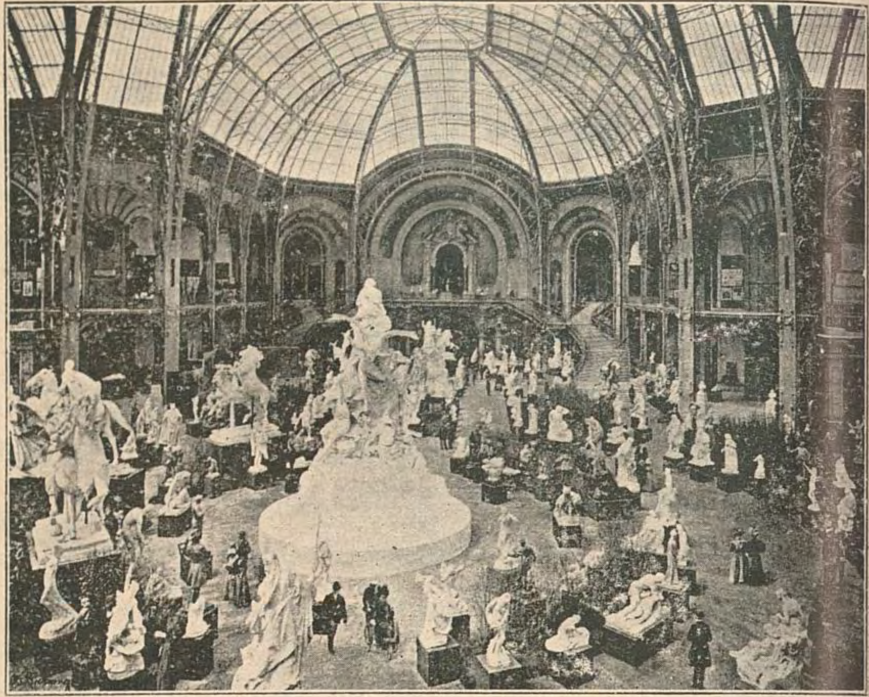

دار قصر الفنون الكبير

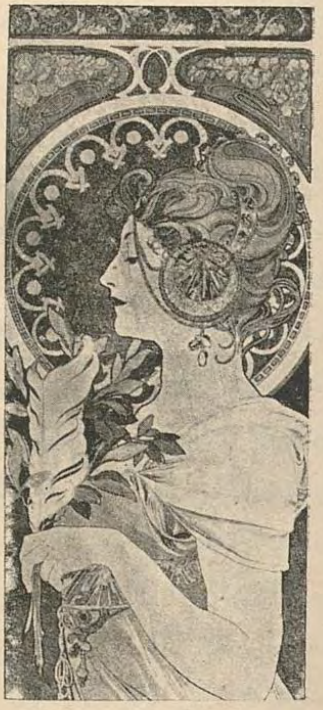

صورة الريشة

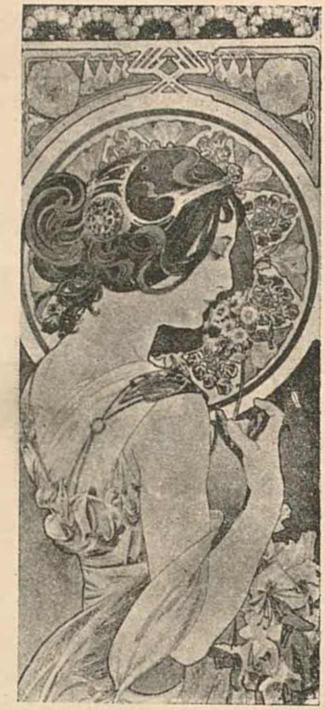

صورة الزهرة

تحجم عن عرض صورها وتماثيلها ازاء المصنوعات الفرنسوية . وقد فاق الهنود والصينيون واليابانيون امم الارض في نقش العاج والخشب كما يظهر مما عرضوهُ في معارضهم المختلفة وبلغ اليابانيون حدًّا يندر ان يفوقهم فيهِ احد في عمل التماثيل وسبكها حتى كأن صناعهم قد اتقنوا علم التشريح تمام الاتقان قبلما حاولوا تمثيل جسد الانسان . وجاروا الاوربيين في تصوير الناس عراةً ان لم يكونوا قد سبقوهم الى ذلك لان بعض صورهم قديم من القرن السابع عشر

ومن ينظر الى الصور المختلفة المعروضة في القصر الكبير من قصري الفنون وفي اماكن مختلفة من المعرض يجد بينها صورًا كثيرة شاذة عما اعتاد رؤيتهُ واوجه شذوذها في الخطوط الغليظة التي تفصل بين الصورة وما حولها وفي قلة الظلال اللازمة لتجسيم الصورة وفي اطلاق العنان للقلم ليتصرَّف في ما يمكنهُ التصرُّف فيهِ كغدائر الشعر وذيول الاثواب حتى كأنَّ المصور شاعرٌ يرسم صوَر الخيال على القرطاس لا صوَر ما يراهُ بعينهِ. وهذا النوع من التصوير قديم جدًّا جرى عليهِ المصريون القدماء كما يظهر من الصور التي اكتشفها الدكتور بتري بين الآثار المصرية القديمة . وبقي المصورون يلجأُون اليهِ كلما ارادوا الاستعاضة عن الحقيقة بالمجاز إما تخلُّصًا من قيود التدقيق او مجاراةً لصور الخيال الى ان قام المصور موخا النمسوي حديثًا فاحياهُ وعزَّز شأنهُ بالصور الكثيرة التي ابتدعها فشاع اسلوبهُ حالاً وجاراهُ كثيرون من المصورين . ومن صورهِ البديعة التي يغالى بها وقد كثر عرضها في المعرض صورة الريشة وصورة الزهرة وصورة الرقص وصورة الغناء وصورة الشعر وصورة التصوير وصورة الزنبق وصورة الورد

وصورة الريشة فتاة مسكت ريشة زرقاء بيسارها ووقفت حتى تُرَى من جانبها وعقصت شعرها في اعلى رأسها وهو غدائر ملتفَّة بعضها على بعض كالافاعي والاهلَّة تجمعها عصابة من الذهب مرصَّعة بالحجارة الكريمة وصفيحتان مرصعتان تغطيان اذنيها كما في بعض الصور المصرية القديمة وهي لابسة قميصًا يغطي بدنها ومنكبيها . وعلى وسطها منطقة تتدلى منها حمائل كثيرة وحول رأسها دائرة كبيرة كأنها اعلى كوَّة عربية

وصورة الزهرة فتاة عقصت شعرها فوق قذالها وانسدلت بعض غدائرهِ على جبينها ووجهها وعنقها حتى غطت اذنيها ملتفة تحتهما وامسكت بيمينها عرقًا فيهِ ازهار جميلة تشمُّ رائحتها وحول رأسها دائرة من الازهار والرياحين

وصورة الرقص غانية التحفت بازار طويل الاذيال يشفُّ عن بدنها امسكت بهِ وهي تدور راقصةً فطار حولها كذنب الطاووس وعبث النسيم بشعرها فتموَّج وابعد عنها ثم التفَّ ودار اليها . وحولها هلال بديع النقش يكاد يلتف عليها . وقس على ذلك باقي الصور

والوانها كلها من ازهى ما صنعهُ المصورون او استنبطهُ الكيماويون ولا ارى وصفًا لها اقرب من القول بان نسبتها الى الصوَر العادية نسبة الشعر الى النثر فكما تسرُّ النفس باكتشاف معاني الشعر المخبوءة تحت الفاظهِ واستعاراتهِ سرور مَن ظفر بشيءٍ بعد البحث عنهُ تسرُّ ايضًا برؤية هذه الصور واكتشافها اشكال الاعضاء ومعاني الوجه من بين قليل من الخطوط . وكما يتصرف الشاعر في معاني الالفاظ ويحوّلها عمَّا وضعت لهُ يتصرَّف مصور هذه الصور في الخطوط والاشكال على حسب ما يرشدهُ الخيال . ومع ذلك لا يفسَّر تهافت الاوربيين على استحسان هذا التصوير وتفضيلهم اياهُ على التصوير الطبيعي الذي تماثل صورهُ الحقيقة تمامًا الاَّ على مبدإ اندفاعهم وراء كل جديد وحبهم للتغيير والتبديل على ما ترى في تغييرهم لازياء النساء

وتفنَّن الفرنسيون هم وغيرهم في ما عرضوهُ من الطبع على الحجر موضحين بهِ تاريخ هذه الصناعة من اول عهدها الي الآن ودرجات ارتقائها وما يُصنع بها من الصور الملوَّنة التي تحاكي الصور الزيتية في امتزاج الوانها

اما صناعة البناء فالمعرض كلهُ باقسامهِ المختلفة خير معرض لها فانك ترى فيهِ اشكال البناء المختلفة من عهد المصريين القدماء فاليونان فالرومان فالفرس فالعرب فالقوط فعصر التجديد فالعصر الحاضر . واشكالهُ المختلفة في ممالك اوربا واسيا وافريقية واميركا فيستغني بهِ زائرهُ عن تطواف المسكونة كلها اذا اراد مشاهدة مبانيها واساليب بنائها الشائعة فيها من هياكل المصريين والصينيين واليابانيين والهنود الى كنائس المسيحيين ومساجد المسلمين الى قصور الاوربيين والاميركيين . ومن اكواخ الاسكيمو واللابلنديين والتركمان في اقاصي الشمال الى اكواخ الافريقيين وخصاص الاستراليين في اقاصي الجنوب . وقد مثلوا فيهِ مدنًا وقرًى كاملةً فترى فيهِ مدينة باريس القديمة بقصورها وحصونها وابراجها وكنائسها وشوارعها والناس فيها يجولون يبيعون ويشترون وهم بازيائهم القديمة التي كانوا يلبسونها منذ مئات من السنين . وترى فيهِ قرية من قرى بلاد سويسرا بجبالها وصخورها وبيوتها وشوارعها وابراجها ومذاودها وحظائرها وبقرها ودوابها ورعاتها وملابس اهلها . ومساكن اهالي الترنسفال فقرائهم واغنيائهم ومساكن اهالي مدغسكر وبلدان اخرى كثيرة في اسيا وافريقية . وما لم يعرضوهُ بنفسهِ عرضوا صورهُ اما رسومًا صغيرة لهُ او صورًا كبيرة يقع النور عليها في مكان يحجب ما حولها فترَى كأنها اماكن حقيقية وهو ما يسمى بالبانوراما وقد شاهدتهُ في المكان المعروف بالطوفان حول الارض وفي بناء مدغسكر وفي رحلة مرشان وسآتي على وصفهِ في فصل آخر

ومما يستوقف النظر في فصل البناء رسوم المباني الاميركية الحديثة التي اعلوها حتى بلغوا

اعالي السحاب . وترى امثلتها من قضبان الحديد قائمة كالاقفاص وبجانبها قطع الاجر التي يملأ ما بين القضبان بها كأن القضبان هيكل العظام في جسم الحيوان والاجر لحمهُ واعصابهُ . وقد بلغوا في بعض هذه المباني عشرين طبقة او اكثر حتى بلغ ارتفاعها اكثر من مئة متر اقتصادًا في الارض حيث الارض ثمينة . ويصعد اليها كلها بالروافع فلا يشكو سكانها من مشقة الصعود على السلالم . وهناك قطع من الحديد الذي تبنى منهُ تلك المباني وهي كروافد الخشب التي تسقف بها البيوت عندنا او اغلظ منها لكنها من الصلب (الفولاذ) المتين فلا تنكسر ولا يختل وضعها مهما علا البناء وزاد ثقلهُ وضغطهُ

وللبناء العربي حظٌّ وافر من هذا المعرض وشأن عظيم فيهِ فتراهُ ممثَّلاً في قصر مصر وقصر تركيا وقصر ايران وقصر تونس وقصر الجزائر وقصر تركستان واجملهُ في قسم اسبانيا داخل معرض شان دومارس فترى هناك الاروقة والمقاصير والابواب والكوى والشرفات والحنايا والاعمدة وهي مختلفة الاشكال بديعة النقش زاهية الالوان كأن صورها منقولة عن الحمراء والزهراء وكل قصور الاندلس الفاخرة

ذهب المُلك من العرب وزال جاههُ من بلادهم ولم يبقَ من تلك الامة العظيمة مَن يعنى بحفظ معالمها لكن الاوربيين لم ينسوا فضلها عليهم فتراهم يذكرون جميلها ويحيون آثارها ومآثرها ولولاهم لضاع اكثر ما بقي الى الآن من كتب العرب ومصنوعاتهم ولجهلنا قدرهم وكل ما يعرف عن عمرانهم

ويدخل في هذا الباب نقش المعادن وعمل النياشين والوسامات ونقش الحجارة الكريمة وقد عرضت نياشين الدول والجمعيات العلمية والادبية والصناعية ونحوها في اماكن مختلفة من المعرض وقصور الدول التي فيهِ فيقف الرجال المتباهون بالنياشين امامها كما يقف النساء امام الحلى والمجوهرات الاَّ ان الرجال يقفون لحظة ثم ينصرفون كأنهم يخشون ان يراهم احد معارفهم فيلومهم على اضاعة الوقت في النظر الى زخارف يترفع عقل الرجل عنها . واما النساء فيقفنَ هنَّ ورجالهنَّ امام الحلى يقدرنَ اثمانها ويعجبنَ من بديع اشكالها ولا يلومهنَّ احد كأَنَّ الحلي خُلقَت لهنَّ وخلقنَ لها . ولا مشاحة في ان صنَّاعها بلغوا حد الاعجاز في رسم اشكالها ولم يتركوا جوهرًا في جوف البحر وقلب الارض ولا حجرًا كريمًا الاَّ جلبوهُ وقطعوهُ وصقلوهُ وصاغوهُ . وكأَن كلَّ جوهري منهم ظنَّ نفسهُ وحيدًا في المعرض فعرض فيهِ شيئًا كثيرًا من افخر الحلي واثمنها حتى ان من عقود اللؤلؤ ما يساوي مئة الف جنيه

وفي المعرض آلات فرنسوية واميركية لضرب النقود والنياشين والوسامات تمرُّ فيها قدد

المعدن فتقطع منها قطعاً مستديرة وتسكّها في طرفة عين وكأن لسان حالها يقول ان كل شيء صار يعمل بالآلات حتى وسامات الشرف والمجد . اما الجواهر فلا تجلب الاّ بالغوص في لجج البحر والتعمق في طبقات الارض. وقد عرضت فرنسا والولايات المتحدة الاميركية مجموعات كاملة من الحجارة الكريمة والمجموع الاميركي من محل تفني الجوهري الاميركي المشهور وفيهِ الحجارة الكريمة في حالتها الطبيعية وفي اشكالها بعد قطعها وصقلها فالصفير مثلاً ازرق او اخضر او أصفر والطبيعي منهُ بلورات متفرقة في حجر اصفر . والياقوت احمر والطبيعي منهُ احمر ايضاً ولكنهُ كحصى العقيق وقد يكون في حجارة رمادية محمرة او مصفرّة . والماس الطبيعي مدملك الحروف والزوايا كحصى البلور الابيض . وقس على ذلك سائر الحجارة الكريمة وسأعود الى الكلام عليها وعلى الحلى في فصل آخر

الباب الثالث في ما يستعمل في العلوم والفنون من الصناعات والادوات وفصوله ثمانية وهي (١) الطباعة على اختلاف طرقها واساليبها . و (٢) التصوير الشمسي. و (٣) طبع الكتب وتجليدها والصحافة والاعلانات وكتب الموسيقى. و (٤) عمل الخرائط والكرات والآلات التي تستعمل في الجغرافيا والكوسموغرافيا والطوبوغرافيا . و (٥) الآلات الرياضية والعلمية والنقود والمداليات . و (٦) الطب والجراحة. و (٧) الآلات الموسيقية . و (٨) الآلات والرسوم التي تستعمل في المراسح

"وكل فصل من هذه الفصول معرض عظيم في بابهِ ففصل الطباعة مؤلف من معروضات ٤٠٠ عارض منهم اصحاب المطابع الكبرى ومعروضاتهم تشغل اكثر من ٢٠ قاعة واسعة ومنهم اصحاب المحلات الشهيرة التي تصنع آلات الطباعة في فرنسا وغيرها ومن جملة معروضاتهم آلات تطبع سبعين الف نسخة في الساعة الواحدة وآلات تصف الحروف وآلات تطبع باحبار مختلفة الالوان الى حد سبعة في وقت واحد وآلات تطبع ورق الجرائد وتقصهُ وتلصق بعضهُ داخل بعض وتطويهِ من نفسها وهناك مساكب كثيرة لمحلات سكب الحروف المشهورة ومعروضات مطبعة الحكومة الفرنسوية بانواع حروفها العديدة من قديمة وحديثة غربية وشرقية"

ولا ادري اي فصول هذا الباب اخلق بالوصف من غيرهِ ولا كيف اوفي هذا الفصل حقهُ من الوصف فان المطابع الكبيرة بلغت حد الاعجاز حتى صارت نسبة مطابعنا الشرقية اليها نسبة العربة التي يجرها الثور الى قواطر سكك الحديد او نسبة اكواخ السودانيين الى قصور الملوك . توضع لفّة من الورق كالبرميل الكبير في المطبعة من هذه المطابع وتدار آلاتها بالكهربائية فينفكُّ الورق من نفسهِ ويجري بين اساطين الآلة صاعداً نازلاً جارياً ملتفاً وتنهال الصحف

منها كالماء الجاري مطبوعة مطوية ثلاثين الفًا او اربعين الفًا او خمسين الفًا او ستين الفًا او سبعين الفًا في الساعة الواحدة ولا يشعر المرء بحركة المطبعة الاَّ من صوتها لان دوران اساطينها اسرع من ان تتبينهُ العين

ومن اغرب هذه المطابع مطبعة البتي جُرْنال وهي صغيرة جدًّا طولها اقل من مترين وعرضها اقل من متر ونصف وعلوها نحو متر ونصف لكنها تطبع نحو خمسة عشر الف نسخة من تلك الجريدة في الساعة الواحدة وبجانبها مطبعة اخرى وهي اكبر منها قليلاً لكنها تطبع ٣٦ الف نسخة في الساعة من جريدة فيها ست صفحات وتقص الورق وتلصق الورقة المفردة بالورقة المزدوجة وتطوي الاثنتين معًا ولا وقت لها لتخرج النسخ نسخة نسخة فتخرجها عشرات عشرات باسرع من لمح البصر

وتجمع حروف هذه الصحف الآن بآلة لها مفاتيح كآلة الخط يضرب عليها جامع الحروف باصابعهِ فتجمع فيها الامهات بعضها بجانب بعض الى ان يصير منها سطر فيصب الرصاص عليهِ من الآلة نفسها ويرفع ويوضع مع السطور التي سبكت قبلهُ وتفرق الامهات في اماكنها ثم يجمع سطر آخر وهلمَّ جرًّا وهذه الاعمال كلها تعملها الآلة من نفسها ومتى تمَّ جمع الصفحة الواحدة تبلُّ وتوضع عليها صفيحة من القرطاس وتضرب حتى تنطبع الحروف فيها طبعًا غائرًا ثم توضع في قالب كنصف الاسطوانة ويصب عليها الرصاص المصهور فيكون من ذلك نصف اسطوانة مجوَّفة والحروف على ظاهرهِ ثم يسبك نصف اسطوانة أُخرى من الصفحة الثانية ويجمع بين الاثنين بعد ان تهذَّب حواشيهما فيكون من ذلك اسطوانة كاملة عليها صفحتان من صفحات الجريدة. وقد اتموا هذا كلهُ امامي في مطبعة البتي جرنال في اقل من ربع ساعة. ولا يمكن طبع نسخ كثيرة من ستة آلاف فصاعدًا في الساعة الاَّ اذا كانت الحروف مسبوكة على اساطين كما تقدَّم اما المطابع التي تطبع عن الحروف رأسًا وهي مجموعة على سطح مستوٍ فاكثرها اتقانًا لا يطبع اكثر من خمسة آلاف نسخة في الساعة

ومن المطابع المعروضة هناك مطبعة اورلوف التي تطبع سبعة الوان دفعةً واحدةً ومطابع مرنوني واليزه ومطبعة تيمس نيويورك وهي تطبعهُ وتوزعهُ مجانًا وكذلك مطبعة البتي جرنال تطبعهُ وتوزعهُ مجانًا

وعرضت اميركا والمانيا وانكلترا مطابع مختلفة وشاركنَ فرنسا هنَّ وغيرهن في عرض الكتب القديمة والحديثة المصورة وغير المصورة لاظهار اشكال طبعها وتجليدها . والكتب المصورة المطبوعة منذ القرن الخامس عشر تفوق صورها صور الكتب التي تطبع الآن في مصر

والشام اي اننا متأخرون عن اوربا من هذا القبيل نحو اربع مئة سنة . ومن الكتب القديمة المعروضة نسخة من جغرافية بطليموس طبعت في نورنبرج سنة ١٥٢٤ وكتاب جغرافي طبع في تورين سنة ١٦٤٩

اما الكتب الحديثة فلا تسأَل عن انواعها واشكالها وطرق تجليدها واتقان تصويرها لان ذلك يفوق كل حصر ويقصر عنهُ كل وصف . وقد بلغ التصوير في جرائد الازياء جدًّا يفوق التصوُّر ولا يفوقهُ في دقة النقش الا نقش اوراق البنوك وطوابع البريد واسهم الشركات. وهناك معروضات كثيرة من هذا القبيل ومنها مجموعة انكليزية كبيرة رأَيتُ فيها اوراق البنك الاهلي المصري واسهمهُ واسهم شركة الدلتا ومينا البصل والاسواق واوراق البنوك من كل اقطار المسكونة من اوربا واميركا واسيا وافريقية واستراليا . ومجموعة اميركية لاوراق البنوك نالت الجائزة الكبرى لاتساعها واتقانها. ومن الممالك الصغيرة التي ابدعت في ماعرضتهُ في هذا الباب هولندا وبلجكا فترى في معرض هولندا مجموعة كبيرة من الكتب والخرائط والآلات الموسيقية وخريطة كبيرة لجزيرة جاوي مقاسها $\frac{١}{١٠٠٠٠٠}$ ومطبوعات مصورة بصور ليثوغرافية كانها فوتوغرافية لدقتها . وفي معرض بلجكا مطبوعات كثيرة قديمة وحديثة وكرات ارضية وخرائط وصور فوتوغرافية كبيرة بالقطع الطبيعي علو الصورة منها متران

اما الصور الشمسية التي عرضتها فرنسا وكل دولة من دول الارض وآلات التصوير الشمسي وما يتعلق بهِ فالقول بانها كثيرة متنوعة تحصيل حاصل لانها تعد بالالوف والوف الوف وغاية ما يقال فيها ان الفوتوغرافيين صاروا يستطيعون الآن ان يصوّروا الانسان بحجمهِ الطبيعي ويتصرفوا في لون صورتهِ على ضروب شتى لا حصر لها . ولكنني لم أَرَ لهم صورة فوتوغرافية مختلفة الالوان من اصلها وبلغني بعد مغادرتي باريس انهُ عُرضت فيهِ صور فوتوغرافية ملونة من اصلها بالوان الجسم الطبيعي اما انا فلم أَرها . ولا تقتصر المهارة في الفوتوغرافيا على مصوري فرنسا وما جاورها من الممالك والولايات المتحدة الاميركية بل جاراهم فيها مصورو بعض البلدان الصغيرة النائية كبلاد بيرو فان صورها الفوتوغرافية بالغة حد الدقة والجمال وقد نال مصوروها نياشين الذهب

وامثلة الجرائد السياسية والعلمية والادبية القديمة والحديثة كثيرة ففي قصر النمسا وحدهُ الف ومئتا جريدة مختلفة فكم تكون معروضات فرنسا وانكلترا واميركا وكذلك الخرائط والكرات الارضية والسموية . ومن الكرات الارضية التي عرضتها فرنسا كرة قطرها نحو مترين تظهر فيها جبال الارض كالتضاريس على سطحها فيظهر ارتفاع اعلى جبال حملايا نحو ثلاثة مليمترات

وارتفاع اعلى جبال الالب نحو مليمتر ونصف وقس على ذلك الخرائط البارزة وهي كثيرة في فرنسا واقسام سائر الدول . والخرائط الجيولوجية والمعدنية كثيرة في اقسام كل مملكة من الممالك حتى في قسم يابان

وآلات الرياضية والعلمية تعدُّ بالالوف الكثيرة من البياكير والمساطر والزوايا والاقواس والارباع وكل آلات الرسم والمساحة والتسهيل وقياس الابعاد كالاسطرلاب والسدس والثيودوليت وآلات قياس الجاذبية والموازين الكيماوية ومفرّغات الهواء وكل الآلات الميكانيكية والهوائية والمائية والصوتية والكهربائية والمغنطيسية والبصرية والنظارات على اختلاف انواعها واشكالها واقدارها ومنها نظارة فلكية قطر بلورتها ٤٠ سنتيمترًا وبعد محترقها خمسة اقدام ونظارة اخرى كبيرة لتصوير النجوم بالفوتوغرافيا (استرو فوتوغرافيا) . وبين معروضات المانيا بلورة قطرها متر و٢٥ سنتيمترًا وبين معروضات فرنسا بلورة محدبة مقعرة واخرى محدبة الوجهين قطر كلٍّ منهما متر ووزن الاولى ٥٢٠ كيلوغرامًا ووزن الثانية ٣٨١ كيلو غرامًا . وهناك الآلات الحاسبة وآلات اشعة رنتجن وآلات الفونوغراف والميكروسكوب والپكولارسكوب والسپكتروسكوب والسكريمتر والبولاريمتر والخرونومتر وآلات اخرى كثيرة من هذا القبيل . ولا اظن انهُ توجد آلة رياضية او علمية لا يوجد منها في هذا المعرض حتى الآلات الحديثة التي لم تتقن الى الآن كالتليفون الذي يكتب الالفاظ ويبقيها على اسطوانة او قدَّة معدنية في غيبة صاحبهِ حتى اذا عاد قرأها ثم ازالها عن الاسطوانة او القدة بازالة الاثر المغنيسطي عنها فانهُ قد عُرض في باب الكهربائية من هذا المعرض وتكلمتُ فيهِ كلامًا عربيًّا ثم اعادهُ على مسمعي كما نطقتُ بهِ تقريبًا . ومن ذلك محللة اتفاق الانغام التي اكتشفها اساتذة مدرسة شيكاغو سنة ١٨٩٧ . ولو وسعني الوقت لارى انواع هذه الآلات العلمية كلها واشرحها الشرح الوافي لملأتُ بشرحها مجلدًا كبيرًا مثل المقتطف

ومن فصول هذا الباب مجموعات النقود والمداليات واول ما يدخل الزائر الجناح الايمن من الشان دومارس يرى جمهورًا غفيرًا من الناس رجالاً ونساءً مجتمعين حول آلة كبيرة تسك النقود وآلة أُخرى تسك المداليات فيقع من كل واحدة قطعة مسكوكة في اقل من ثانية من الزمان . واذا كان سك النقود سهلاً بهذا المقدار فلا ادري لماذا لا تُسك النقود المصرية في مصر بل تسك في بلاد النمسا وقد اشرت الى مجموعات النقود والمداليات في الكلام على الباب السابق

وكما تبارت الدول الكبرى في ما تقدَّم ذكرهُ من المعروضات تبارت في عرض الآلات الجراحية والوسائل الطبية وكل ما يتعلق بفن الطب والجراحة من اقدم الآلات التي استعملها

الاطباء والجراحون الى احدثها فترى هناك بعض الآلات المصرية القديمة المستخرجة من مدافن مصر وخرائب مبانيها وبعض الآلات الرومانية المستخرجة من خرائب هركولانيوم التي طمرها بركان يزوف في القرن الاول المسيحي وما لا يحصى من الآلات الجراحية الحديثة التي تستعمل في البتر والشق والسبر واستخراج الحصى والاورام وجبر العظام واصلاح العاهات كاصلاح الاقدام الفدعاء وتقويم الاظهر المنحنية وآلات التعقيم والغسل والتصوير باشعة رنتجن وقلع الاسنان وحشوها واصلاحها وعمل الاسنان واللثث الصناعية وكل ما يتعلق بامراض العين وآفاتها وعملياتها . ولا اظن ان طبيباً دخل هذا المعرض الاَّ وقف ساعات كثيرة امام المعروضات الطبية والجراحية يتفحصها ويعجب بمهارة الفرنسويين والاميركيين والالمانيين والانكليز وغيرهم من الامم في اتقان الوسائل التي تزيل الآفات والآلام . ومن هذه المعروضات ما يفيد الناظر اليهِ فوائد علمية جمة ولو لم يكن طبيباً كالامثلة التشريحية والباثولوجية والجراحية واطوار تكوُّن الاجنة وما اشبه مما يطول شرحهُ ويشعر الناظر اليهِ انهُ في مدرسة يدرس فيها طبائع الاجسام الحية وكيفية بنائها ونموها والعوارض التي تعرض لها والاساليب التي تستعمل لحفظ صحتها موجودة وردها مفقودة وهي الاساليب التي قلَّت بها وفيات الاوربيين وزاد عددهم رغماً عن قلة مواليدهم

ومن فصول هذا الباب الآلات الموسيقية ووجهُ وضعهِ هنا في ما نظن ان الموسيقى قسم من العلوم الرياضية . والآلات الموسيقية الكبيرة والصغيرة من ذوات الاوتار وذوات النفخ وذوات الصفائح من اعظم ما عرض في هذا المعرض ولاسيما البيانات منها وقد تبارت معاملها الكبيرة في فرنسا وانكلترا والمانيا واميركا وروسيا وايطاليا وحاول كل معمل منها ان يفوق غيرهُ في تفخيم معروضاتهِ وتنويعها واتقانها عالماً ان الاوربيين يؤلهون الموسيقى كما يؤلهون التصوير وان اغنياء الارض واهل الجاه فيها لا يبخلون بثمن على آلة موسيقية مهما كانت ثمينة وان هذه الآلات قد صارت الآن من الحاجيات في البلدان الاوربية والاميركية فلا تجد بيتاً من بيوت الاغنياء والاواسط خالياً منها حتى الملوك الذين لم يذهبوا الى هذا المعرض ارسلوا نوَّابهم يبتاعون لهم من آلاتهِ الموسيقية التي حكم المتحكمون انها تفوق غيرها كما فعل مولانا السلطان فقد رأينا واحداً من البيانات كتب عليهِ ان جلالة السلطان اشتراهُ . ولم يقتصر الصناع على اجادة آلات هذه المعروضات حتى تكون اصواتها على اصحها واشدها إطراباً بل بالغوا في دهن خشبها حتى صار كالمرآة في صقله وكطاقات الازهار في نقشهِ . وقس على ذلك الآلات الموسيقية الصغيرة كالكمنجا والفلوت والمزمار . واستنبط الاميركيون آلة ذات اصابع توضع على

البيانو وتدار فتضرب عليهِ الانغام من نفسها باصابعها . وعرض واحد آلة موسيقية كالارغن الصغير يديرها بدولاب فتخرج منها اصوات موسيقية مختلفة متفقة كأَنها اوركسترا او موسيقى عسكرية كثيرة الآلات فيها من ذوات الاوتار وذوات النفخ والصنوج والطبول وما اشبه

اما رسوم التمثيل ويراد بها الرسوم التي تنصب في اماكن التمثيل كأَنها صور الاماكن التي جرت فيها حوادث الروايات فقد ابدع الفرنسويون في عرضها مصغَّرة وعرضوا معها مشاهير الممثلين والممثلات بالثياب التي يلبسونها وقت التمثيل حتى اذا نظرت اليها حسبت نفسك جالساً في اوبرا باريس او مرسح آخر من مراسحها ترى الروايات الشهيرة تمثل فيها

ولما رأيت الخرائط والكرات والآلات الجراحية والموسيقية والفلكية قلت هذا ميدان جرى فيهِ علماءُ العرب ومن انضمَّ اليهم من الروم والفرس والسريان وكان لهم فيهِ الباع الاطول والقدح المعلَّى فعلى مَ لم يعرَض لهم شيءٌ فيهِ . اين خريطة الشريف الادريسي وكرة هرون الرشيد ومشارط الامام الرازي وعود ابرهيم الموصلي ومزولة ابن الهيثم وزيج ابي عبد الله البتَّاني واين كتبهم في الطب والتعاليم في الطبيعيات والرياضيات والبصريات . اين الميازين التي عرفوا بها الثقل النوعي والآلات التي قاسوا بها علوَّ الهواء ومحيط الارض وانكسار النور بل اين الامم التي سكنت مصر والشام والعراق منذ اربعة آلاف سنة فما فوقها الى سبعة آلاف سنة. لو بعثت الآن كما كانت في عهدها او لو انشئَ هذا المعرض في عصرها لاشتركت فيهِ ولم تخجل وعرضت من آلاتها الهندسيَّة والفلكية ما تفاخر بهِ غيرها من امم هذا العصر. اما نحن ابناء مصر والشام والعراق ابناء هذا العصر خاتمة القرن التاسع عشر فليس عندنا شيءٌ نستطيع عرضهُ في هذا الباب غير ما نجدهُ في مدافن اسلافنا وخرائب مدائنهم ومتاحف الممالك الاوربية ومكاتبها ممَّا اكتشفهُ علماءُ اوربا في انقاض الهياكل وخزائن الجوامع والكنائس من التحف والنفائس . وقد بلغ من انحطاطنا اننا لم نعد نفهم كتب اسلافنا ولا نعنى بحفظ شيءٍ من آثارهم فنبيعها لاول طالب من الاوربيين او نذيبها اذا كانت من الذهب والفضة ولو فاقت قيمتها ما فيها من المعدن الف ضعف. ولا اقول ان الكتب القديمة والادوات القديمة تغني عن شيءٍ جديدة ولكن لو احتفظنا بذلك القديم منذ الف سنة او الفي سنة واتَّبعنا سنَّة الارتقاء التي اتبعها الاوربيون لكنَّا نفضلهم الآن اكثر ممَّا يفضلوننا والاَّ ففي عقولنا نقص وفي اجسامنا خلل وهذا ما لانسلم بهِ ولو جدلاً ولا دليل على صحتهِ بل الادلة متوفرة على ضدهِ لان ابناءنا الذين يدرسون في مدارس الاوربيين يساوونهم او يفوقونهم فلا بدَّ من عوارض اخرى عرضت على البلدان الشرقية محقت عمرانها ومنعت شعبها من الارتقاء

وجملة القول اني خرجت من هذا الباب كئيباً كاسف البال كما خرجت من اكثر ابواب المعرض لما رأيتهُ من الفرق الكبير بيننا وبين غيرنا من امم الارض

والباب الرابع في الهندسة الميكانيكية وهو اربعة فصول — (١) فصل الآلات البخارية و (٢) فصل الآلات المتحركة بقوة طبيعية مثل مطاحن الهواء والماء والآلات التي تدار بالهواء السخن والغاز والنشادر والحامض الكربونيك واللوالب والاثقال وما شاكل ذلك و(٣) الآلات التي يحركها غيرها كالسيور والسلاسل والطلمبات والمطافىء والمضاغط والمخارط

وغنيٌّ عن البيان ان هذا الباب من اوسع ابواب المعرض لاننا في عصر الآلات من بخارية وغير بخارية وللآلات البخارية الشأن الاكبر فيهِ وهي قوتهُ المحركة لآلاتهِ المختلفة إما مباشرة وإما بعد تحويل قوتها الى كهربائية . وكانت قوَّة البخار الذي ادار آلات معرض باريس السابق خمسة آلاف حصان فوضع في هذا المعرض آلات قوتها عشرون الف حصان واذا دعت الضرورة اداروها بقوة اربعين الف حصان . ومن هذه العشرين الف حصان خمسة عشر الفاً تستعمل في توليد النور الكهربائي لانارة المعرض وخمسة آلاف حصان لادارة آلاتهِ

ومراجل الآلات البخارية منتظمة في بنائين كبيرين داخل المعرض طول كلٍّ منهما ١١٧ متراً وعرضهُ ٤٠ متراً الايسر منها لادارة الآلات الفرنسوية والايمن لادارة الآلات الاجنبية وفيهما المراجل الكبيرة لتوليد البخار والى جانبيهما مدخنتان كبيرتان شاهقتان مزخرفتا البناء صُنعتا لتكونا مثل سائر ما في المعرض آية في الجمال والاتقان لكنك ترى قتام الدخان يتفجر منهما في اكثر ساعات النهار و يسردق فوق المعرض والمدينة فيكمدُّ لهُ قلب مَن اعتاد صفاء الجو في بلاد النور والصفاء. وقد أُنفق على بناء كل مدخنة منهما اكثر من مئتي الف فرنك . وهناك سكة حديدية تمر امام المراجل كلها لجلب الوقود اليها

وقوة هذه الآلات البخارية تحوَّل الى قوَّة كهربائية قبل توزيعها على آلات المعرض المختلفة لادارتها بها فتراها تدور كلها بالكهربائية من مطابع ومخارط ومغازل وانوال وآلات لصك النقود وضرب النياشين وعمل الريش والبرانيط والجزم وما اشبه ولولا ذلك لتعذَّر وضع هذه الآلات كلها في المعرض وادارتها بالبخار فيهِ وهذا لا ينفي ان بعض آلاتهِ يدار بالهواء المنضغط او غاز النشادر او غاز الحامض الكربونيك او زيت البترول

ومن الغريب ان الدول الصغيرة مثل سويسرا و بلجكا ناظرت الدول الكبيرة في هذا الباب فترى في قسم سويسرا آلة بخارية صغيرة طولها نحو متر وعلوها متر ونصف وعرضها اقل

من متر وقوتها مئة وثلاثون حصاناً . ولم اكن اتصوَّر انهُ يمكن عمل آلة قوية بهذا المقدار وهي صغيرة الى هذا الحد . وفيهِ آلة بخارية كبيرة قوتها ١٧٠٠ حصان وأُخرى قوتها ١٢٠٠ حصان وقطر دولابها ستة امتار وهو يدور مئة دورة في الدقيقة فيقطع محيطهُ اكثر من ميل كل دقيقة من الزمان . ومن الآلات البخارية الكبيرة التي عرضتها بلجكا آلة رابضة في قسمها كالجبل قوتها الفا حصان وقطر دولابها سبعة امتار وآلات كثيرة من انواع مختلفة

والظاهر من هذا الباب ان الاوربيين لا يقصرون صنائعهم على ما تنتجهُ ارضهم بل يجلبون اليها الحديد والوقود اذا لم يكونا فيها و يصنعون كل ما يصنعهُ غيرهم من الآلات والادوات . والادوات المصنوعة في البلاد لاهلها تفضل الادوات التي تجلب اليها من بلاد أُخرى، لان التجارة تتلف الصناعة غالباً اي ان التجار يطلبون البضائع الرخيصة الثمن لكي يسهل عليهم بيعها ويكثر ربحهم منها . وقد اذهلني الفرق الكبير بين الادوات التي يستعملها الاوربيون في بيوتهم والادوات التي يجلبها تجَّارنا من بلادهم فان الاولى تفضل الثانية من كل وجهٍ كأَنَّ التجار لا يجلبون الاَّ ابخس المصنوعات او كأَنَّ المعامل تستخفُّ بالبلدان الشرقية فترسل اليها نفاية مصنوعاتها او تصنع لها ما يسرع تلفهُ وبذلك تُستَنْزَف ثروة البلاد فاذا لم يكن لإدخال المعامل الصناعية الى بلاد المشرق غير هذا السبب فكفى بهِ سبباً ليحمل فضلاء بلادنا على الاهتمام بامر الصناعة ويحمل الحكومة على تسهيل انشاء المعامل الصناعية ولو اضطرَّت ان تعفيها من الرسوم وتساعدها بالاموال

والباب الخامس في الكهربائية وفيهِ خمسة فصول وهي (١) فصل الآلات المولدة للكهربائية والدائرة بها و (٢) فصل استعمال الكهربائية في الكيمياء و (٣) فصل النور الكهربائي و (٤) فصل التلغراف والتلفون و (٥) فصل بقية ما تستعمل فيهِ الكهربائية

واذا كان البخار اقوى قوات الطبيعة فالكهربائية اعجبها واعظمها نفعاً وقد تفنن الاوربيون في طرق استعمالها على حداثة عهدهم بها حتى بلغوا شأْواً يدهش كل من ينظر الى اعمال الناس بالامعان ويقدرها قدرها . فمن حك قطعة الكهرباء على ثوب من الصوف واظهار قوة تكفي لجذب قصاصة الورق ومن وضع صفيحتين صغيرتين من المعدن في سائل حامض واظهار قوة تكفي لتوليد شرارة صغيرة اتصل الاوربيون والاميركيون الى عمل آلات تحوّل قوة البخار بل قوة الشمس العظيمة الى قوة كهربائية . واذا لم يكن من هذه الآلات غير ما عرض منها في هذا المعرض فكفى بها دليلاً على مقدرة الاوربيين وعلو همتهم كما ترى في هذا الجدول

عرضت فرنسا	١٧	آلة	مجموع قواتها	١٤٥٠٠	حصان
وعرضت المانيا	٤	آلات	" "	٠٧٥٠٠	"
" النمسا	٤	"	" "	٠٤٧٠٠	"
" انكلترا	٣	"	" "	٠٣٥٠٠	"
" بلجكا	آلتين		" "	٠٢٢٠٠	"
" ايطاليا	"		" "	٠١٨٠٠	"
" سويسرا	٣	آلات	" "	٠١٧٠٠	"

لكنهم لم يقفوا عند هذا الحد بل استخدموا مجاري الانهار ومحادر الشلالات وحوَّلوا قوة جري الانهار ومدِّ البحار الى كهربائية فاداروا بها المعامل وولدوا النور الكهربائي واستفادوا مما كان يذهب هدرًا

وقد تقدم ان كل الآلات والادوات التي في هذا المعرض من مطابع ومساكب ومخارط ومغازل وانوال وما اشبه تدار بالكهربائية اي بقوة البخار التي تحول الى كهربائية في الآلات الكهربائية المغنطيسية وتجري على الاسلاك المعدنية ومعلوم ان قوة البخار تحصل من احتراق الفحم الحجري في الآلات البخارية وقد وصلت القوة الى الفحم من نور الشمس الذي اجتمعت بهِ دقائقهُ في خشب النباتات القديمة التي نمت على وجه الارض في العصور الجيولوجية . نور الشمس الذي بزغ منها منذ ملايين من السنين ووصل الى الارض مع حرارتهِ خُزنت قوتهُ في الفحم الحجري وهي تظهر الآن في تمديد بخار الماء وتحريك الآلات المختلفة وانارة مقاصير هذا المعرض وابراجهِ بشموس كهربائية تماثل شمس السماء سطعانًا

وممَّا يستوقف النظر ويدعو الى الاستعبار في هذا الباب الآلات القديمة التي استنبطها كبار العلماء لاكتشاف نواميس الكهربائية والآلات الكهربائية التي صنعت اولاً ثم تدرجت في الاتقان حتى بلغت ما بلغتهُ الآن فيرى منها تاريخ ارتقاء هذا العلم في مراقي الكمال من آلات تلغرافية قديمة من ذوات العقارب ومصابيح كهربائية صنعت سنة ١٨٧٤ وآلة تلغرافية تكتب الاشارات كتابة على ورق كيماوي صنعت سنة ١٨٥٢ وآلات لتوليد الكهربائية بالفرك ونحو ذاك من الآلات التي صنعها علماء الكهربائية انفسهم مثل امبر ورمكرف والكتب القديمة في الكهربائية والمغنطيسية مثل مقالات جلبرت على المغنطيس باللاتينية وتاريخ طبعها ١٦٠٠ وهي اقدمها ومقالات كرخر وهي من اواسط القرن السابع عشر وترجمة كتب فرنكلين العالم الاميركي وهي من القرن الثامن عشر فانها طبعت في باريس سنة ١٧٥٢

وكتب ارستد وبكرل وده لاريف واراغو واوهم وكلها من هذا القرن

تاريخ حديث جدًّا لكنهُ مشحون بالعجائب واعجب ما فيهِ ما حدث في النصف الاخير من هذا القرن ولم تزل عجائبهُ تتوالى واحدثها الفونوغراف او التلفون الذي اشرتُ اليهِ سابقًا وهو من مخترعات مهندس دنمركي اسمهُ فلدمار بولسن . والدنمرك من اصغر ممالك اوربا واضعفها لكن العلم مستقلٌّ عن قوَّة الملك وسعة الممالك ورجالهُ ينبغون من كل البلدان ولكنهم لا يستطيعون ان يظهروا قواهم ويمرنوها وينتفعوا بها الاَّ حيث كثرت المعدَّات وعرف الناس فوائد المخترعات

وقد عرضت الآلات التي تستعمل فيها الكهربائية الاعمال الكيماوية كاستخراج الاليومنوم من مركباتهِ على اسلوب رخص بهِ ثمنهُ وكثرت الآنية والادوات المصنوعة منهُ حتى ان آنيتهُ تباع الآن في اسواق القاهرة ارخص ممَّا يساوي حجمها من الآنية النحاسية وهي تفضل الآنية النحاسية في انها لا تحتاج الى تبييض ولا تتولَّد منها املاح سامَّة . وكتطهير الماء بالاوزون المتولد من الشرار الكهربائي وكاستحضار الفلور وبعض العناصر النادرة . كما عرضت اساليب التنوير الكهربائي وانواع التلغراف والتلفون وكل ما تستعمل الكهربائية فيهِ كالطبخ والتدفئة والتطبيب والتطهير . ويكاد المعرض كلهُ يكون معرضًا للكهربائية وآلاتها وما تستخدم فيهِ كما هو معرض للبناء والنقش . فان كل ما فيهِ من الآلات والادوات يدار بالكهربائية ومصابيحهُ تنار بالكهربائية والناس ينتقلون فيهِ من جهة الى اخرى بالسكة الكهربائية او بالمصاطب التي تدور بالكهربائية ويصعدون على طبقاتهِ بالروافع والسيور الكهربائية ويجولون في شوارع باريس حولهُ بمركبات يسير الكثير منها بالكهربائية. وقد كان لالمانيا النصيب الاوفر من المعروضات الكهربائية كما لها النصيب الاوفر في سائر الابواب والربح الاكبر من هذا المعرض حتى يقال انها ربحت منهُ كما ربحت فرنسا او اكثر

وليس لمملكة من الممالك الشرقية نصيب من هذا الباب الاَّ اليابان فانها عرضت بعض الآلات الكهربائية وهي تدلُّ على براعة مطلع تنبئ بحسن الختام . وقد رأيتُ قُبيل ذهابي الى المعرض آلة كهربائية استنبطها احد المستخدمين في التلغراف المصري لاقفال الابواب وفتحها وكنت اود ان اراها معروضةً ولو في زاوية من زواياهُ حتى يقال ان لابناء الشرق شيئًا يستحق العرض فيهِ لكن الرجل ايطالي الاصل مولود في هذا القطر فيتبرأُ الوطنيون منهُ ولو حازت آلتهُ اسمى وسامات الشرف

والباب السادس في الهندسة المدنيَّة والنقل وفصولهُ سبعة الاول في المواد والرسوم والاساليب المتعلقة بالهندسة المدنيَّة . والثاني في الرسوم والامثلة المتعلقة بالمباني العمومية .

والثالث في العربات والمركبات غير مركبات سكك الحديد. والرابع في العدد والسروج وما يتعلق بها . والخامس في سكك الحديد والترامواي . والسادس في الوسائل اللازمة للتجارة البحرية والسابع في البالونات وطرق السير في الهواء

وقد ضاق المعرض عن هذا الباب فعُرِض جانب كبير منهُ في اماكن اخرى كما سيجيء. قال الدكتور نمر في ما كتب بهِ الى المقطم " امَّا القصر الذي في شان دومارس (لمعروضات هذا الباب) فقد رأيت على واجهتهِ افريزًا من ابدع ما صنع الصنَّاع زانهُ مزخرفهُ بنقوش وصور كثيرة نافرة منسوقة عليهِ نسقًا واحدًا يصوّر للرائي جميع الصور والاطوار التي تقلبت وسائط النقل عليها من اول تاريخ الانسان الى الآن فهناك صورة رجال من المصريين القدماء ينقلون تمثالاً لابي الهول بجانب الاهرام وصور الجمال والهجن تضرب في الصحراء . وصور الفيلَة تحمل الهنود على ظهورها وتسير بها من مكان الى مكان . وصور حيوان الرنَّة يجرُّ المركبات التي يركبها اهالي الاصقاع الشمالية . وصورة اول راكب للماء في زورق وصورة اول هودج تحملهُ الدواب وصورة اول مركبة تسير بالبخار "

وكل فصل من فصول هذا الباب معرض كبير اشتركت فيهِ ممالك الارض وفاقتهنَّ روسيا في رسوم سكتها الحديدية التي خرقت بها بلاد سيبيريا من طرف الى طرف ووصلت الى آخر بلاد الصين مما يلي المشرق حتى يتيسَّر لها ارسال جنودها اليها ونشر تجارتها فيها . ومن يمعن نظرهُ في رسوم هذه السكة وامثلتها في قصر روسيا الخاص باملاكها الاسيوية يقف مدهوشًا من مهارة الروس وعلو همتهم فان الجبال والاودية والانهار والبحيرات والثلوج والرمال لم تثبط عزائمهم ولا وقفت في سبيل تقدُّمهم

وفصل العربات والمركبات حافل بما تفنن الصناع في عملهِ وزخرفتهِ لان ما يستعمل مراكب للملوك والامراء والاغنياء لا يُضَنُّ بشيء على اتقانهِ . ففيهِ بعض المركبات القديمة ممَّا كان يركبهُ ملوك اوربا وهي مطلية بالذهب مشمولة بالنقوش والزخارف على ما فيها من ضخامة العجل وخشونة المحاور . ولا نظن ان ملكًا من ملوك هذا الزمان يفضل ركوبها على ركوب مركبة ساذجة عجلها من الكاوتشوك ومحاورها تدور على الكرات لان وجهة الناس الآن نحو الراحة والرفاهة كما كانت منذ مئة سنة نحو العظمة والابهة . وقد يركب الملوك والعظماء المركبات المزخرفة الآن لكنهم يفعلون ذلك في اوقات خاصة جريًا على العوائد القديمة واتباعًا للتقاليد المرعية التي يعسر اهمالها دفعة واحدة

"وقد عرض ٤٠٠ عارض ما لا يوصف من مركبات الركوب وعربات النقل وانواع

الدرّاجات والمركبات التي تجري بقوة الحرارة او الكهربائية والمركبات الكبيرة المعروفة بالامنيبوس مما تجرُّهُ الخيل او يساق بقوة الحرارة . ولكثرة ما عُرض في هذا الفصل أُلحق بهِ فصل اضافي في جنان فنسان حيث يجد الانسان معرضاً عظيماً من الدراجات والمركبات المتحركة بقوة الحرارة او الكهربائية من فرنسوية وغير فرنسوية "

وفصل السروج والعدد وكل يلزم للخيل والمركبات جميل بديع يريك غرام الاوربيين بالصافنات الجياد حتى كأَنهم ولدوا على صهواتها . وقد رأَيت في رحلتي الماضية الى باريس بعض السروج التي كان امراءُ المماليك يسرجون جيادهم بها واخذها الفرنسويون من مصر وكنت احسبها من افخر ما صنعهُ الصناع فاذا في هذا المعرض ما هو افخر منها واثمن ولا تندر العدد الذهبية فيهِ. وغرض الناس الآن في ما يصنعون من العدد والمركبات راحة الراكب وركوبتهِ كما تقدَّم وقد بلغوا الغايتين معاً في العجل الذي يحيط بهِ اطار من الكاوتشوك وبمحورهِ كرات صغيرة او اساطين دقيقة يدور عليها فتزيل الفرك ولم يقفوا عند هذا الحد بل رأَوا ان يريحوا الخيل من خدمة الانسان بعد ان حملتهُ وحملت امتعتهُ منذ الوف من الاعوام فصنعوا المركبات التي تسير بالبخار او بالكهربائية وهم يفكرون الآن في استخدامها في ساحات القتال كما تستخدم في شوارع المدن

ومعروضات السكك الحديدية ملأَت جانباً كبيراً من شان دومارس والمباني المتصلة بقصر التروكادرو ومن جنان فنسان . ومن اول ما يستوقف النظر منها القاطرة البخارية التي صنعها جورج ستفنصن سنة ١٨٣٠ وهي اول قاطرة بخارية سارت على سكة حديدية عمومية وفتح الخط الذي صنعت لهُ سنة ١٨٣١ تراها صغيرة بسيطة وقد عرضها السر دافد سالومنص وعرضت بجانبها قاطرة اخرى صنعت سنة ١٨٤٤ وهي اكبر منها واصلح كثيراً . ومن ثم والقواطر تزيد حجماً واتقاناً حتى بلغت ما بلغتهُ في قاطرة اميركية كبيرة جدًّا عرضت في جنان فنسان قطر العجلة من عجلها سبع اقدام . وهناك مركبات تسير بالكهربائية وتقطع نحو مئة ميل في الساعة وقطرات لشركات عديدية وكلها فاخرة الاثاث والرياش وبينها مركبات نقل لسكة الحديد المصرية صُنعت في اميركا وروعيت فيها المتانة لاغير لانها من الصلْب وهي مزدوجة العجل ثقيلة جدًّا لا ندري ما وجه تفضيلها على غيرها من المركبات

اذا اعتبر المرءُ ان قوَّة البخار عُرفت من ايام هيرون الاسكندري الذي نشأَ في القرن الثالث قبل المسيح فبقي اكتشافهُ مدفوناً في بطون الاوراق اكثر من الفي عام ولم يُستَفد منهُ الاَّ في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن عجب من التقدُّم السريع الذي تقدمهُ البشر في

القرن التاسع عشر ورأى انهُ يفوق تقدُّمهم في خمسين قرناً قبلهُ

والفصل المتعلق بالتجارة البحرية " أُفرد لهُ قصر عظيم قائم برأسهِ على ضفة نهر السين يعرف بقصر الملاحة وفيهِ ما يفوق الحصر من المواد والعدد التي تبنى بها السفن وتجهز والآلات والعدد المستعملة في الترسانات والحياض التي تبنى السفن فيها والمستعملة لصنع عدد البواخر وما لا يحصى من مُثُل السفن الصغيرة والكبيرة على اختلاف انواعها من بخارية وشراعية وقوارب تسير بالمجاذيف . ومن المثل التي يرى بها الناظر تركيب تلك السفن وترتيب داخلها بما فيهِ من الآلات والادوات والاثاث والرياش وهلمَّ جرًّا . وهناك ايضاً كثير من الكرَّاكات والمراجل والآنية التي يسخن الماء ويبخر فيها والمرشحات والمصافي والرواويق والمقطرات والمكثفات (كندنسر) والطلمبات والعدَّادات والزناجير والمراسي والروافع والاعلام والرايات وآلات التنوير والتهوية والتسخين والتجميد والكهربائية والساعات والحكوك والاسطرلابات وسائر الآلات الفلكية والجوية التي تستعمل في الملاحة . وقس على ذلك كثيراً من سفن النزهة كاليخوت والزوارق البخارية والقوارب التي تساق بالمجاذيف ومنها ما يدهش العقول بحسن ترتيبهِ ونفيس اثاثهِ ولطف منظرهِ . وماذا اقول عما هناك من اجهزة الغوص والعوم وانقاذ الغرقى وانتشال ما يغوص الى قعر الماء واغاثة السفن المشرفة على الغرق وآنية صب الزيت على الامواج الهائجة لتسكينها ورفع السفن التي غرقت من تحت الماء والرسوم والجداول والخرائط والمطبوعات المختصة بالملاحة . فانهُ ان كان الناظر يمل والباصرة تكل من رؤيتها فكيف يستطيع القلم وصفها . ولذلك اختم كلامي عنها بذكر خريطة نافرة رأيتها هناك لتمثيل ترعة السويس ومعها لرسوم والمقاسات التي كان دولسبس يتبعها في حفر تلك الترعة وكذلك كرَّاكات وسفن صغيرة على مثال الكراكات التي تطهر الترعة الآن ومثال السفن التي تسير فيها

وفصل الطيران في الهواء ومعروضاتهُ تهمُّ المشتغلين بهذه الصناعة على الخصوص ويرى الناظر هناك آلة على صورة خفاش كبير طولهُ من طرف جناحهِ الايمن الى طرف جناحهِ الايسر ١٥ متراً يجلس الانسان في قفص داخل بدنهِ ويطير بقوة آلة تدور في اعلاهُ وقد جرب هذا الخفاش سنة ١٨٩٧ فبدا فيهِ نقص أَخَّر تجربتهُ بعد ذلك ولكن مخترعهُ الموسيو آدر لا يزال يزيدهُ اتقاناً واحكاماً . وهناك صور آلات اخرى للطيران ومجموعة تمثل تاريخ الطيران من عهد اكتشاف البلون وصور جماعة من الذين اشتهروا في ركوب الهواء . ويذكرني هذا الفصل ببلونين مقيدين بجبال يطيران كل يوم من جوار المعرض ويركبهما من شاء بالاجرة . ولا اظنهما يعلوان عن برج ايفل الا نادراً "

وفصل الطيران من اسخف الفصول واقلها جدوى لان الطيران غاية لا ينالها الانسان وقد عاد طلاَّبهُ بخفي حنين حتى اضطرَّ المخترع مكسيم ان يهملهُ بعد ان انفق عليهِ ستة عشر الفًا من الجنيهات ولكن سائر فصول هذا الباب من اهم ما اشتغل بهِ البشر كما هو من اقدم ما استعملوهُ . ولو بُعث الاشوريون والمصريون والفينيقيون ورأَوا هذا المعرض ولم يروا فيهِ شيئًا لابنائهم لا عَرَبةً ولا مركبةً ولا مركبًا ولا اسلوبًا من الاساليب التي استعملوها في نقل المسلاَّت من اصوان الى الاسكندرية والارز من لبنان الى اشور والذهب من اوفير الى اورشليم والطرق الهندسية التي بنوا بها اهرام مصر وقصور بابل وهيكل سليمان وايوان كسرى — لو بُعثوا ورأَوا ان العمران الذي وضعوا اركانهُ وشادوا بنيانهُ بقي حيث تركوهُ ثم عاد القهقرى الى ان اضمحلَّ ولم تبقَ الاَّ آثارهُ وابناؤُهم لا يفقهون لها معنًى ولا يدركون لها مغزًى — لو بُعثوا ورأَوا ذلك لفاضت عيونهم دمًا وفضَّلوا سكنى القبور على مشاهدة ما اصاب ابناءهم من الذل والصغار وما حلَّ ببلادهم من البوار والدمار . هذا وقد ملَّ القارئ من الاطالة في وصف هذه الابواب فارجئ الكلام على باقيها الى الاجزاء التالية

مستقبل الصين

لجناب الامير شكيب ارسلان

الزراعة في الصين

العضو الثاني من الاعضاء الرئيسة الممتلئة سلامةً وحياةً من جسم هذه المملكة هو الزراعة ولعمري مهما علا كعب الصينيين في الصناعة وفضلوا فيها سواهم واطاعتهم اياديهم في تذليل الجماد لخواطرهم وتسخيرهم المعادن لتصوراتهم فان اياديهم في حراثة الارض اطول وملكتهم في الزراعة لا تقل رسوخًا عن ملكتهم الصناعية وبالاجمال فان لم تتجاوز الزراعة عندهم شأو الصناعة فانهما في وزن واحد من الاتقان وتقدير واحد من الايفاء وعليهما معول سكان هاتيك المملكة في معايشهم وبهما قوام وجودهم. والزراعة محترمة جدًّا عند الصينيين يشوبها لديهم شيء من التقديس ويمازج اكرامها عندهم ذروٌ من الاعتقاد اجتهادًا بان الزارع عندهم هو الذي يغذي الناس ويكفل لهم اقواتهم حتى ان السلطان نفسهُ ليسمونهُ بالزارع الاكبر لانهُ هو العائل الاعظم للمملكة والمملكة معولة بهِ. وكان من جملة عوائدهم التي نسخت ان يحرث الارض بيدهِ ثلاثة ايام متوالية في اواخر شهر آذار وهو مرتدٍ ثوب اكَّار وكفى بذلك حرمة لمقام الزراعة واكبارًا لقدرها في اعينهم

وما زالت تروى في هذا الموضوع عن سلاطينهم النكات حتى لقد تناقل الخلف عن السلف منهم انهُ في جوار مدينة (نينغبو) حذاء الجبال المسماة بالجبال الزرق في سهل افيح هناك كان السلطان (تشين) منذ اربعين قرناً ماسكاً بسكة حراثة يحرث الارض على فيل

ومما فرضهُ القانون الصينيّ قيام صاحب الملك دائباً بحراثة ارضهِ واصلاحها فاذا اهملها مدة ثلاث سنين فقط حق للحكومة نزعها من يدهِ وتسليمها لآخر. واغرب من ذلك ان شيخ القرية ولقراهم شيوخ كما في سائر البلاد مسؤُول هو نفسهُ عن اراضي قريتهِ مطالب بتطبيقها بالعمل فاذا وُجدت مهملة او وُجد بعضها مهملاً جوزي الشيخ على ذلك بجلدهِ مائة سوط وبالجملة فاهمال الارض عندهم حوب كبير وهو منكر في جميع البلدان الاَّ ان ربط هذا الانكار في الصين بمادة قانونية وتحقيقهُ بجزاء لما يدل على غلو تلك الامة بحب الزراعة وانهم يقدرونها قدرها ويعرفون مكانها من عمارة البلاد وما غلت امة احتاطت بالقوانين لتوثيق اسباب المعيشة وتأمين دعائم العمران

وقد ساعد الصينيين في اتقان زراعتهم فضلاً عن قوانينهم ومشرب حكومتهم خلقهم المشهور في الصبر وسجيتهم المعروفة في الثبات مع بصرهم النافذ بهذا الفن وممارستهم الطويلة لهُ وان كان الصبر رائد كل نجاح وطليعة كل نصر فهو لهذا الامر الزم وبهِ اخلق والصينيّ يسقي اشجارهُ وبقولهُ بيدهِ كما يسقي البستاني حديقة قصر ويُدلل ازاهر روضٍ وهو يحنو على اغراسهِ ونبات ارضهِ حنو الظئر على الفطيم. ومع الثبات وطول الاناة وتكرر التجربة صار الصينيّ يستثمر من ارضهِ اضعاف ما يستثمر سواهُ ويستدرّ من اضراعها ما لا يستدرّهُ الفلاح الاوربي لو قام مقامهُ وناهيك انهم بلغوا من درجة الاستثمار ان العشرين شخصاً من الصينيين يعيشون طول السنة بمحصول هكتار واحد من الارض في بعض الاماكن كذا رواهُ الثقات من سياح الافرنج فكأَن الفدان الواحد يقوم بمؤُونة ثمانية اشخاص تقريباً وهذا شأوٌ متناهٍ. وقد روى ابو القاسم بن حوقل في المسالك والممالك عن عمارة صقع بخارا : ان الرجل ربما قام على الجريب الواحد فيكون منهُ معاشهُ . وقد اختُلف في الجريب فعلى روايةٍ هو اربعة اقفزة والقفيز ستة عشر رطلاً وعلى روايةٍ هو عشرة اقفزة وربما وقع الاختلاف باختلاف البلدان كما هو في سائر المكاييل والمقاييس لكن ذكر قدامة في كتاب الخراج ان الاسهل اذا ضرب في مثلهِ فهو الجريب والاسهل طول ستين ذراعاً فاذا ضربنا ستين في ستين حصل معنا ثلاثة آلاف وستمائة ذراع هذا هو الاصح في الجريب وهو منقول عن المكيال وكيف كان الامر فما ذكر عن الصين ابلغ لأَن ما ذكرهُ ابن حوقل عن الجريب البخاريّ وان كان غايةً في العمارة

فهو دون ما يرويهِ بعض جغرافيي الافرنجة عن بعض اراضي شنغاي مثلاً كما ترى من نسبة الجريب الى الفدان ونسبة الواحد الى الثمانية

نعم ان الفلاح الصيني لا يعرف تحليل الارض كيماويًّا معرفة الفلاح الاوربي ولم يأخذ علم خواص الاتربة عن كتب الفن ولكن التجربة كفتهُ مؤُونة النظريَّات فصار يعرف خاصة كل تربة وماذا يجب ان يعاقب على ارضهِ من الزروع واصناف البذور وماذا يلزمها من السماد وهو بيدهِ يحرثها ويكروها ويزرعها وينقيها من الاعشاب وبيدهِ يفتّت ما غلظ وما تلع من التراب ولهُ معرفة بتربية الحيوانات وتدجينها تأنيس شواردها وتذليلها لخدمتهِ ولهُ مسكة ايضًا في تربية الطير. ومن غريب ما يحكى من عناية الصينيين بذلك انهم يضعون بين اجنحة الحمام صفَّارة صغيرة من قشر البامبو في لطافة الورقة بحيث تحتملها الحمائم بين ريشها فتقيها بصفيرها من انقضاض الجوارح عليها وانهم يعلمون بعض الطيور الصياح في ساعات معينات من النهار فاذا شاؤوا اغناهم الطائر عن الساعة المعلقة. وقد بلغ من شدة حذقهم وحيلتهم انهم يصيدون احيانًا بايديهم الاسماك التي تعصي على الشباك والخطاطيف ومن كانت هذه حالهم في الصبر على الطبيعة فلا غرو اذا جاؤُوا زرَّاعًا ماهرين وأَكرَةً حاذقين

وقلَّ ان يوجد في الصين اراضٍ غفلاً من وسم الزراعة فان الارض عندهم محروثة مغروسة مذللة للسكك غورًا ونجدًا حتى انك لتجد الغراس والحرث فيها على علو ثلاثة آلاف متر من سطح البحر وهذا نادر او غير معهود في غير بلادهم ولذلك قامت تلك البلاد بميرة اربعمائة مليون من الآدميين واحسَّت بفضلة فان قيل ان مساحتها متسعة فهي وان اتسعت ضيقة بهذه الاعداد الهائلة ولولا حسن استثمار الارض ما كفتهم مؤُونتهم بل كانت المساغب والمجاعات عندهم اكثر مرارًا مما هي الآن واغرب من كون محاصيلهم كافية لهم وانهم لا يجلبون الا ما ندر من الخارج ان الفاضل فوق كفايتهم قد يبنى عليهِ تجارة مهمة مع الغريب واهم زراعة عندهم هي زراعة الارز فالارز سيد طعامهم والارض المزروعة ارزًّا هي ثمن مجموع اراضي الصين على الاطلاق

ومن اهم محاصيل الصين الشاي والقطن وقصب السكر والقنب وعندهم انواع من الفاكهة وقد دخلت بلادهم الذرة والبطاطة. ومحصول الحرير من الصين يزيد على نصف محصول الدنيا باسرها

واقوم اهل الصين على الزراعة والصناعة هم سكان ايالات ساتشوان وفوكيين كما ان قدرهم على التجارة هم اهل شانسي

التجارة في الصين

اما التجارة في الصين فهي غير متناسبة مع الزراعة والصناعة وشأْنها عند الصينيين دون

شأنهما وقد اتسعت مؤخرًا بدخول الاجانب ولكنها لا تزال دون جسامة هاتيك المملكة وقد عدلت قيمة البضائع التي تدخل وتخرج في مواني الصين سنويًا وذلك منذ سنوات فبلغت ثلاثة مليارات من الفرنكات والزيادة واقعة سنة فسنة. وقد كانت واردات كانتون سنة ١٨٧٩ نحو ٦٣ ٩٥١ ٠٠٠ فرنكًا وصادراتها ١٢١ ٣١٥ ٩٧٥ فرنكًا فبلغت الواردات والصادرات سنة ١٨٨٢ نحو ٢٤٨ ٠٠٠ ٠٠٠ فرنك وهي زيادة ثلاث سنوات فقط(١)

واهم تجارة الصين الى الخارج بصنف الشاي لكن المقطوع من الشاي في داخل الصين اكثر منهُ في سائر المعمور وقد ادخل الاوربيون سلعهم و بضائعهم في الصين رغمًا عن اهلها وقسروهم على التجارة معهم قسرًا واعتسارًا فزادوهم بذلك كراهية لهم ونفورًا منهم مع ان الصينيين لم يكونوا يكرهون الغريب في بادىء الامر وقد اقرَّ مؤرخو الافرنج انهُ لما دخل العرب والهنود الى الصين في اوائل ظهور الاسلام بقصد التجارة تلقاهم الصينيون بالترحاب ولم يروهم ادنى شيء يريبهم كذلك البرتغال في اوائل سلطانهم في البحار لم يلاقوا اقل جفاء من الصينيين وما زال الامر كذلك حتى ازدحم الاوربيون من كل الاصناف على ابواب المملكة الوسطى وجاءوها بالمدافع والاسلحة والمحرقات وقامت المنازعات فيما بينهم فنظر اليهم الصينيون نظرهم الى قوم برابرة سفاكين للدماء ثم انهم داخلوهم في بعض المتاجر والمجالب خصوصًا الافيون فلم يقبلوا بدخولها فغمزوا قناتهم او يستقيموا معهم على قبول الافيون فشهرت انكلترا عليهم حرب الافيون سنة ١٨٤١ ووضعت الحرب اوزارها عن فتح خمس مواني للتجارة وهي كانتون واموي وفوتشو ونينغبو وشنغاي.

ثم اختلَّت المعاهدة فجرت حرب ثانية اشتركت فيها انكلترا وفرنسا وذلك سنة ١٨٥٧ واحتل الاوربيون كانتون وعقدت السلم ثم انتكثت عقدتها وتجددت الحرب ثالثة سنة ١٨٦٠ ودخل الانكليز والفرنسيس باكين عاصمة الصين في بضعة عشر الفًا وانتهبوا قصر الصيف الشهير واحتووا على ما فيهِ وفي هيعة ذلك ثار ثائر (التايبينغ) فاضطرت الحكومة الصينية ان تستعين بالاجانب على الثوار ثم ما زالت تنفتح الثغور للتجارة والصينيون ينفرون من هتك هذه الحجب والدول تتمادى في الامر شيئًا فشيئًا حتى اصطلت الحرب بين الصين واليابان فافتضح نقص الدولة الصينية وظهر عجزها ظهورًا بيّنًا هفا اليها بالاطماع وامال نحوها الرقاب وقيل لها حينئذٍ «الباب المفتوح» فتسارعت الدول الغربية للولوج منهُ وخشية ان يبعث الفتوح بالسيف بينها الى النزاع عمدت الى طريقة استئجار الاراضي على مدات طويلة وتهافت القوم على البلاد من

---

(١) (المقتطف). وبلغت قيمة كل الواردات والصادرات سنة ١٨٩٨ نحو ١٢٠٠ مليون من الفرنكات

كل جهة فكانت الثورة الحالية المعروفة بثورة (البوكسر) وظهر ان للامبراطورة الكافلة يدًا فيها

واعظم التجارة في الصين هي طبعاً بيد الانكليز من الاجانب ثم الاميركان ثم الالمان فالفرنسيس فاليابان الا ان اليابانيين في السنين الاخيرة قد سبقوا الفرنسيس كما ان الصينيين منذ دخول الاجانب قد اقتدوا بهم في حب التجارة واخذوا يزاحمونهم مزاحمة الفائز خصوصاً وان الصينيَّ غير موصوف بالشره ورغابة البطن بل هو قانع راضٍ بما قسم لهُ والقناعة مع الثبات اجمع من الاقدام مع المخاطرة. وقد ذكر بعض كتاب الافرنجة ان التاجر الصينيَّ اعظم امانةً واشد محافظة على القول من التاجر الاوربي وعندهُ من الروية وطول الاناة في الاشغال ما ليس عند هذا ولذلك كان الاجانب قد افادوا الصين في ادخال التجارة بينهم لأن عدد التجار منهم قد ازداد جدًّا بعد قدوم الغربيين ديارهم حتى لم يبقَ في بعض المواني تجارة الاَّ في ايدي الصينيين

وبسبب مزاحمة الاجانب التجارية ازدادت عناية الصين بالملاحة وبناء السفن البخارية وانت ادرى ان الصينيين يرجعون في هذا الامر الى نصاب صدق وانهم هم الذين اخترعوا ابرة المغنطيس (البوصلة) لهداية السفن بعد ان كانت تهتدي بنجوم السماء وقد شاهد السياح الذين دخلوا الى الصين في القرون الوسطى من احتفالهم بالملاحة ما ادهشهم قال السائح الشهير ماركو بولو : "ان في مياه كيان من الصين في نهر واحد من السفن والمراكب الحاملة للمتاجر والبضائع اكثر مما يخفق في بحار وانهار النصرانية مجتمعةً". ولم يزل هذا النهر مرسى ومجالاً للالوف من السفن والزوارق الى يومنا هذا . وفي سنة ١٨٥٠ حدث حريق هائل في ثغر او تشانغ فاتلف سبعمائة سفينة كبيرة وبضعة آلاف من الزوارق دفعة واحدة فهلك خمسون الف نواتيّ بين الحَرَق والغَرَق وان تاجرًا فردًا من اهل البلدة اوصى بعمل عشرة آلاف تابوت من مالهِ الخاص يومئذٍ وورد في جغرافية اليزه ركلوس الفرنسوي قولهُ "فكان في حريق ميناء واحد من مواني الصين قد هلك من النواتية اكثر ممن يوجد من النواتية في مواني فرنسا كلها"

الا ان هناك عائقًا مهمًّا في طريق تقدم التجارة الى الغاية التي بلغتها في بلاد الغرب أَلاَ وهو اعواز السكك الحديدية التي لا تزال في الصين نادرة مع وجود الطرق العادية خربة والمواصلات صعبة نعم في الصين ٢١ طريقاً سلطانياً من بقايا الاولين قد تأنقوا فيها وحفروا لها الانفاق في بطون الانجاد وعقدوا الحنايا بين الوهاد واشتقوا لها المخالص من مكانٍ الى آخر ورصفوها بالبلاط ونظموا بلبأتها الاشجار وجعلوها في عرض كافٍ من ٢٠ الى ٢٥ متراً

واقاموا عند نهاية كل خمسة آلاف متر ابراجاً للاشارات و بنوا فنادق للنزول والتعريس وحياضاً للورود ومخافر للجند تأميناً لابناء السبيل وتسهيلاً للسفر فكانت الطرق عندهم آمن مما هي في سائر البلاد والصينيون لهم الحرية التامة يسافرون في كل انحاء المملكة بدون حرج ولا تذاكر للجواز عندهم ويحترفون بكل حرفة بدون رسم تمتع . ولما دخل ابن بطوطة الصين رأى من الأَمنة في السوابل وراحة المسافر ماقضي بعجبهِ كذلك سياح الافرنج من اهل القرون الماضية قالوا مثل قولهِ . ومما تحدثوا بهِ عن اقتدار الصين ولا يزال الى الآن قائماً جسر في (شاوهينغ) بناه الصينيون منذ نحو الف سنة طولهُ مائة واربعة واربعون كيلو متراً ممتد فوق منخفضات من الارض ومسايل مياه وفيهِ اربعون الف عقد وعرضهُ متر ونصف متر ولهُ رصيف . وهو جسر لم يبن بطولهِ الاوربيون الى الآن . الا ان اكثر تلك الطرق قد تعطل ولم يتجدد مكانهُ فقصر الصينيون عن شأو آبائهم ولم يشاءوا لاقتداء بالاوربيين فكانت طرقهم الحديثة صعبة السلوك واضرَّ ذلك بتقدم التجارة . ويقال ان الصينيين يدركون فوائد السكك ولكنهم آثروا بقاءها على حالها من الخراب ونفروا من مدّ قضبان الحديد في بلادهم فراراً من نفوذ الاوربيين وقصراً من مداخلتهم فزاد ذلك في اسباب ضعفهم ولم يجدهم في دفع الاجانب فتيلاً واذا سألت رجال الحكومة عن اغفالها هذا الامر الجليل اجابوك انهُ رحمة بالفقراء من المكارين والصحيح ما قدمناه لك

بقي علينا ان نتكلم في باب التجارة عن تجارة الافيون التي هي من اهم ما يرد الى الصين والتي لاجلها صارت الحرب فقد كانت واردات الافيون من الهند على الصين منذ سنوات من ١٥٠ مليوناً الى ٢٠٠ مليون ولا شك ان الافيون هذا مضر جداً باهل الصين لكن الناس يبالغون في درجة مضرتهِ بهم وينسبون كل تأخر في احوالهم وقعود في عزائمهم الى تأثيرهِ فيتجاوزون بذلك حدود الحقائق وليس كل ما يقولونهُ صحيحاً وذلك لان الاذكياء والمتعلمين من اهل الصين لا يتناولون منهُ الاَّ قليلاً ولا يظهر انهُ يؤثر في حالتهم العقلية كما يقال والتأثير انما هو في المدمنين وهؤلاء ليسوا من الزراع ولا من الصنَّاع الذين منهم سواد الامة واكثر الذين يتعاطون الافيون يأخذون منهُ نتفاً وفي الاحايين. ومن الغريب ان الولاية التي يمتاز اهلها بشرب الافيون وهي ولاية (ستشوان) تجد اهاليها احد اذهاناً واعظم اقداماً من اهالي سائر البلاد واذا وزعت الحشيشة على الاهالي لم يصب الواحد اكثر من ٢٠ غراماً طول السنة والبلدي من الافيون اقل فعلاً من الهندي والتبغ هناك على رواية لهُ نتائج ليست نتائج الافيون باعظم منها ويقال ان اليسوعيين هم الذين علموا اهل الصين فتَّه ثم قال

بعض علماء الافرنج اما السكر الذي يسكرهُ الاوربيون بالخمر ويضيعون بهِ رشدهم فهو غير معروف في الصين بل قلما تجد هناك رجلاً سكران

المؤتمر الطبي الدولي الثالث عشر

بقلم سعادة الدكتور حسن باشا محمود

اجتمع في باريز عاصمة فرنسا في يونيو ويوليه واغسطس وسبتمبر من هذه السنة مائة وسبعة وعشرون مؤتمرًا في أَوقات مختلفة والقصد من اجتماع أَعضاء كل مؤتمر عرض ما اشتغل بهِ كل عضو في العلوم والاكتشافات في فن الطب والزراعة والتجارة والصنائع المختلفة وكافة ما تعلمهُ الانسان

وقد تقرر في سنة ٩٧ في المؤتمر الطبي الدولي الثاني عشر الذي عقد في موسكو احدى المدن الروسية ان يجتمع المؤتمر الطبي في باريس سنة ١٩٠٠ وبناءً على ذلك تأَلفت لجنة من مشاهير اطباء باريز يبلغ عدد اعضائها اثني عشر عضوًا وانتخبت جناب الدكتور لا نيلونج رئيسًا لها وجناب الدكتور شوفار كاتبًا لاعمالها مع كتاب آخرين وامين صندوق ومن هؤُلاء شكلت لجنة ادارة المؤتمر وقد اعتمدتها حكومة فرنسا ثم كاتبت حكومات الدول المختلفة وفي جملتها الحكومة المصرية وارسلت خطابات الى مشاهير اطباء الدنيا وانتخبت منهم رؤَساء للجان الاطباء ببلادهم وبالجملة انتخبت كاتب هذه السطور رئيسًا للجنة الطبية المصرية وانتخبت حضرة الدكتور عيد كاتب سر لها فقيامًا بخدمة الوطن والانسانية قبلنا هذه المأمورية وارسل لنا رئيس لجنة ادارة المؤتمر اللوائح ودفتر القسائم المتعلق بالمؤتمر واعلنَّا عن ذلك في الجرائد العربية والافرنكية فاشترك في هذا المؤتمر من اطباء مصر ستة وثلاثون عضوًا خمسة عشر من المصريين أَو المستوطنين والباقون من الاجانب المقيمين في القطر المصري ودفع كل واحد منهم ٢٥ فرنكًا قيمة رسم الاشتراك

وفي ٣٠ يوليه وزعت أَوراق المؤتمر والمدالية على الاعضاء ثم وزعت اوراق الدعوات وعلمت محلات اجتماع اعضاء كل قسم ومحلات اجتماع اعضاء كل لجنة وكان محل اللجنة الطبية المصرية والتركية في قاعة واحدة نظرًا لعدم وجود محلات كافية لكل لجنة وحدها وكان محل لجنة الادارة في المدرسة العملية

وقد انتخب رؤَساءُ شرف للمؤتمر وكان انتخابهم من اطباء الممالك المختلفة وبلغ عددهم مائة وثمانين رئيسًا واما عدد المشتركين في المؤتمر فبلغ ستة آلاف ومائة وسبعين ومنهم رؤَساءُ الشرف ومندوبو الدول . وهاك بيان الدول التي اشتركت في المؤتمر مرتبة على حروف الهجاء

الارجنتين
اسبانيا
المانيا وتوابعها
استراليا
اميركا
ايطاليا
البرازيل
البرتغال
بريطانيا العظمى
البلجيك
بلغاريا
البوسنه والهرسك
بولونيا
بوهيميا
البويرو
تركيا
جمهوريات امريكا الوسطى
الدنمارك
الروسيا
رومانيا
السويد والنرويج
السويسرا
الصرب
فرنسا وتوابعها
فنزويلا
كندا
كولومبيا
لكسمبورج
المجر
مصر
المكسيك
هولانده
اليابان
اليونان

وكانت الاجتماعات عمومية وخصوصية واول الاجتماعات العمومية كان في ٢ اغسطس في قاعة اعياد المعرض العمومي تحت رئاسة جناب المسيو لوبيه رئيس جمهورية فرنسا وكان ثانيها في مدرسة السربون في ٦ اغسطس والثالث فيها ايضاً في ٩ منهُ وكانا برئاسة رئيس المؤتمر وتليت فيهما خطب ومقالات طبية سنشرحها في وقت آخر

اما الاجتماعات الخصوصية فكانت كثيرة العدد ولذلك قسموها الى اقسام اصلية وفرعية وكانت تجتمع قبل وبعد ظهر كل يوم من ايام المؤتمر في محلات مختلفة وهي كما يأتي

(١) قسم التشريح وفروعهِ (٢) قسم الفسيولوجيا والطبيعة والكميا الطبيعية (٣) قسم الباثولوجيا العمومية الامتحانية (٤) قسم التشريح المرضي (٥) قسم طب الاطفال (٦) قسم فن العلاج والمادة الطبية (٧) قسم الامراض العصبية (٨) امراض الجلد والداء الزهري (٩) قسم الجراحة العامة وفروع الجراحة (١٠) قسم الرمد (١١) قسم امراض الانف والحلق والاذن (١٢) قسم الامراض الباطنية وفروعها (وكنت من اعضاء هذا القسم وقدمت فيهِ مقالة في معالجة الرمل والحصاوات الكلوية) (١٣) قسم الحمل والولادة وفروعهما (١٤) الطب الشرعي (١٥) قانون الصحة ومتعلقاتهُ

وقد تقرر اجتماع المؤتمر الطبي الدولي الرابع عشر في مدينة مدريد عاصمة اسبانيا سنة ١٩٠٣ افرنكية اي بعد ثلاث سنوات

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد

الفصل الخامس

لما وقعت عين حواء علي هذين الضيفين وعرفت من هما ابعدتْ عن ابيها وعادت الى مكانها الاول فلم تسمع ما دار بينهُ وبينهما من الحديث . اما ابوها فرحَّب بتنكرد وقال لهُ اهلاً وسهلاً بضيفنا الكريم فقد اخبرني الامير فخر الدين انك لا تأنف من مشاركتنا في هذا العيد فدعوناك اليهِ فقال تنكرد اني اودُّ ان اغنم كل فرصة لتقديم احترامي لكم وهذه خير الفرص واسرُّها لي . فقال بسو متى قدمت ايها الامير الى الشام

فاجاب تنكرد هذا الصباح اتيناها من حاصبيا

ثم سأَلهُ عن حواء فامسك بيدهِ وسار بهِ الى حيث كانت . وكان الحضور قد عرفوا بقدوم الاميرين وسروا بذلك ولا سيما ابنتا لورلاً فانهما كانتا تودَّان ان تريا اميرًا من بيت شهاب وتحسبان رؤية امير اوروبي مسيحي بارع في كل اساليب التمدن التي ربيتا عليها غاية في البهجة . فلما وقع نظرهما عليهِ ورأَيتا ربطة عنقهِ البيضاء وحذاءهُ اللامع شعرتا كمن رأى ينبوع ماءٍ قراح في قفر قاحل

ونظرت حواء الى تنكرد وسعف النخل في يدها وقالت لهُ " هذا عيد من اعيادنا عيد المظال المشهور وقت الاحتفال بنتاج الكروم "

زالت كروم بني اسرائيل لكن الشريعة التي تفرض عليهم عيد الكروم لم تزل حيةً وهم لها خاضعون . شريعة لاتنقض وشعب لا يعرف الارتداد عن شريعتهِ وقد يسهل على الذين لم يزالوا في فلسطين والبلاد المجاورة لها ان يعيدوا هذا العيد ولو لم تبقَ لهم كروم فيها ولكن القاطنين منهم في مدن الشمال في شوارع علاها الدخان والقتام لا ترى الشمس الاَّ نادرًا ولا شمس فيها لانضاج الكروم لا يزالون مضطرين الى اقامة هذا العيد والقيام في المظال سبعة ايام كانهم في مدن المشرق وكان ما حولهم من الاشجار الغبياء نخيل وآس وصفصاف . فتحوا بلاد كنعان منذ ثلاثة آلاف عام ولا يزالون الى الآن يعيدون عيد فتحها واجتنائهم باكورة ثمارها ولو شطَّت بهم النوى الى اطراف بلاد السلاف والسكسون . شريعة ابدية واجبة الرعاية في كل زمان ومكان

مثّل لنفسك رجلاً وُلد في حيٍ من احياء اليهود في مدينة همبرج او فرنكفورت او لندن

او غيرها من المدن الشمالية . ولد للاهانة والازدراء لا تعليم ولا تهذيب ولا شيء ينمي الاخلاق ويهذّب الاذواق لا يرى حولهُ الاَّ المرابين او المتعاطين ادنى الحرف . رجلاً تكرههُ وتزدريهِ وتجتنبهُ يأْتي عيد المظال فتسمو نفسهُ ويمتلئُ فؤادهُ من امجد الآمال واسماها وأَسرها وابهاها الآمال التي اوقدت نار الذكاء في قرائح الشعراء وأَرت النفوس بهاء الآلهة ينهض في الصباح ويمضي الى سوق الخضر ويبتاع اغصانًا من الصفصاف اوصى بها منذ ايام ويعود بها الى بيتهِ ويكنس ساحتهُ وينصب فيها خيمة ينمقها بالازهار والاثمار ويضع فيها الآس والنارنج ويعلق المصابيح ويتعشى فيها مع زوجتهِ واولادهِ كانهُ في قرية من قرى الجليل . ولا يندر انهُ وهو يبارك الخبز حسب عادة اليهود ويكسرهُ ويفرقهُ على اولادهِ ويصلي على كاس الخمر كما فعل الملك الذي جاء من نسل داود منذ نحو الفي سنة وقت اكبر عيد من اعياد اليهود او وهو يشكر الله على نتاج الكرمة الذي لم يعد يقطفهُ ولكنهُ موعود بقطفهِ يومًا ما ولا يخلف الله وعدهُ وزوجتهُ واولادهُ يشاركونهُ قائلين اوصنَّا يمرُّ جماعة من الانكليز بقرب بيتهِ فيقول احدهم للآخر ما هذا الصوت وهذه الجلبة فيقول الآخر هذه جلبة هؤُلاء اليهود الملاعين عندنا كثير منهم وهم الآن في عيد من اعيادهم القبيحة يجب على والي المدينة ان يمنع مثل هذه الضوضاء ولكن الحال الآن اصلح كثيرًا مما كانت قبلاً فانهم كانوا يخطفون الاولاد ويصلبونهم . اما الآن فصاروا يكتفون باكل المقانق المصنوعة من لحم الخنزير . فيقول الاول اصبت والدنيا كلها سائرة نحو الاصلاح

هذا ولنعدْ الى بيت بسو فنقول انهُ لم يكد تنكرد يرى حواء حتى صدحت الموسيقى وتقدم بسو الى تنكرد والامير فخر الدين واشار اليهما ليتبعاهُ فتبعهُ الرجال اولاً وسار النساء وراءهم وخرجوا الى الحديقة المحدقة بالبيت وهي فسيحة جدًّا لا يرى لها آخر والبيت قائم في وسطها وهو طبقة واحدة لكنهُ كثير الارتفاع وامامهُ سلم مزدوج يصعد بهِ الى سطحهِ وطاف الجمع في الحديقة اولاً ثم عادوا الى السلم وصعدوا عليهِ الى السطح فرأَوا انفسهم في جنة أُخرى يحيط بها الآس والياسمين في زواياها الاربع اروقة قائمة على اعمدة من المرمر نظمت حولها الازهار والرياحين وهي تطلُّ على احياء دمشق والبساتين المحدقة بها وما وراءها من الصحاري والجبال. وكان في وسط السطح خيمة غريبة الشكل طولها اربعون قدمًا وعرضها عشرون قائمة على اثنتي عشرة نخلة تدلت القنوان منها واحاطت الرياحين بها وامتدت بينها اغصان تدلَّت منها قطوف الاثمار الشهية من العنب والليمون والرمان والتين والموز والبطيخ وبين النخل اشجار صغيرة من البرتقال دانية القطوف امتزج زهرها بثمرها وبين الاشجار ابواب قوائمها من ابهى الازهار

واطيبها ارجاً . وفي وسط الخيمة مائدة كبيرة عليها سماط من الدمقس حواشيهِ من الذهب وفوقهُ آثار الغنى والمجد صحاف من افخر انواع الخزف الفرنسي وكؤوس من الذهب الابريز منقوشة في بلاد الانكليز واباريق من البلور البوهيمي وسكاكين من افخر ما صنعهُ صنّاع شفيلد تبرق في المدينة التي تضرب الامثال بلمعان سيوفها . وحول المائدة ارائك من الدمقس الاصفر .

هذه خيمة بسو اقامها للاحتفال باليوم السابع من عيد المظال

الفصل السادس

جلس تنكرد عن يمين بسو وجلس سائر الضيوف حولهما ولما استقرَّ بهم المجلس قال تنكرد لبسو كان يجب ان نلتقي في القدس ولكن قدّر ان اقوم بالشكر لك في دمشق

بسو — اخبرتْني ابنتي انك لا تكره شعبنا ولهذا تجاسرت ودعوتك الينا

تنكرد — لا استطيع ان افهم كيف يكره النصارى شعباً تسلموا منهُ الكتاب المقدَّس

بسو — ليس كل الناس مثلك ايها الامير الكريم يعترفون بالفضل لذويهِ

تنكرد — ولكن مَن هم الناس اهم سكان اوربا وهي غياض لا يزال اكثرها موحشاً ام سكان اسيا وهي خراب ودمار

بسو - ولكن سكك الحديد تقطع الاشجار من الغياض وتجعل الموحش آنساً

تنكرد — وما تفعل بالخراب

بسو — لا ينسى الله ارضهُ

تنكرد — اصبتَ والملك لله . من اسيًا خرجت الشريعة ومنها يخرج الحق

وسمع القنصل لورلاً بعض ما دار من الحديث بين بسو وتنكرد وكان جالساً امامهما على المائدة فقال لتنكرد آه لو كانت بلادك تفهم المسألة الشرقية كما يجب وهي ابسط مما تظنون ولا بدَّ لي من ان اراك قبلما تعود الى بلادك وابسط لك ما اعرفهُ من هذا القبيل . فاحنى تنكرد لهُ رأسهُ ولم يقل شيئاً . فالتفت هلال بسو الى القنصل وقال لهُ ان مسألتك الشرقية وهمٌ لا وجود لهُ الاَّ في المجالس السياسية . ما لهم وللشرق لا اظن انهم يفيدوننا شيئاً والراجح عندي انهم يضروننا بتعرُّضهم لشؤُوننا

والتفت فخر الدين الى مدام مراد فارحي وكانت جالسة بجانبهِ وقال لها ما احسن ان يكون الانسان بين اهلهِ واصدقائهِ فاني احسب بسُّو مثل ابي واعدُّكم كلكم مثل اهلي ثم سألها عن زوجها وقال انهُ يحبُّهُ ويحترمهُ وطلب منها ان تخبرهُ بذلك

وقالت ترازه لورلاً لاختها (مشيرة الى تنكرد) ما اجمل هذا اللبس وهذه القامة فقد

تعبنا من رؤية القفاطين والعمائم . هذا هو اللبس الذي يليق بالرجال واما اللبس الذي نراهُ حولنا فمثل ثياب الممثلين في المراسح

وقال موسى لورلاً لاختها صوفيا انا احب الافرنج واودُّ ان يقتدي بهم اهالي بلادنا في امور كثيرة ولكن لا اظن ان لبسهم احسن من لبسنا . فاجابتهُ تريزا قائلة كيف نقابل لبسنا بلبس الافرنج يا عمي أَعندنا شيءٌ مثل هذه الربطة البيضاء وهل نقابل بوابيجنا ولو كانت مزركشة بالقصب باحذيتهم اللامعة . ثم التفتت الى اختها وقالت لها لا بدَّ من ان يكون هذا الامير قد سئم الاقامة في هذه البلاد . فاجابتها نعم فانهُ لا بالأت عندنا ولا مراسح للتمثيل ولا ادري ما حملهُ على المجيء الى هذه البلاد

تريزا — اظنهُ يحب واحدةً لانني اراهُ كاسف البال

صوفيا — كاسف البال لانهُ لا يرى احدًا يقدر ان يكلمهُ كلمة

تريزا — لا احد يستطيع الكلام معهُ الاَّ هلال بسو فانهُ رجل مفتَّح وقد تكلمت معهُ قبل العشاء فاخبرني انهُ قضى فصل الشتاء في بيرا ومضى الى كل البالأت

القنصل لورلاً — ان اللورد بامرستون يعرف المسألة الشرقية الى حد محدود ولو كنت في خدمة الملكة لاخبرتهُ اموراً أُخرى عنها

فخر الدين — انا لا اطيق ان يذكر احد اسم بامرستون أَليس في الدنيا وزير غيرهُ . وماذا يعرف عن المسألة الشرقية وهو لم يأْتِ قط الى بلاد الشرق

القنصل — لا يخفى عليك ايها الامير ان الوزراء يعرفون كثيرًا عن المسائل الهامة مثل المسأَلة الشرقية ولكنهم لا يتذاكرون فيها الاَّ في مجالسهم الخاصَّة

فخر الدين — يمكنني ان احلَّ المسأَلة الشرقية في شهر من الزمان اذا اردت

فضحك القنصل لورلاً وقال " ولكن ما هي المسأَلة الشرقية "

وقال هلال بسو انا ارى انهُ الافضل لنا ان لا يحلَّ شيءٌ بل تبقى الامور على حالها

فخر الدين — يراد بالمسأَلة الشرقية مَن يستولي على البحر المتوسط وهناك بلادان فقط تستطيعان ذلك سورية ومصر . اما الانكليز والروس والفرنسويون والنمسويون فكلهم غرباء عن هذه البلاد يأتون ويمضون . وسورية ومصر باقيتان في مكانهما

القنصل — ولكن مصر جرَّبت فما نجحت

فخر الدين — والآن دور سورية ولا بد من النجاح

فالتفت بسو الى تنكرد وقال لهُ هل تزور مصر بعد عودتك من الارض المقدسة

تنكرد — لست عازماً على العودة من هذه البلاد ولكنني اريد ان ازور مصر فانها بلاد حيّرتنا في اوربا وقد تغيرت كثيراً منذ عهد قريب

فهزّ بسو رأسهُ وقال ان مصر لا تتغير ابداً وهي الآن كما كانت في ايام الفراعنة في ادارتها واحكامها ووزيرها من اليهود

تنكرد — أَفيها وزير يهودي

بسو — نعم وهو ارتين بك الوزير الحالي وقد كان سفيراً لمحمد علي في باريس وهو امهر رجال السياسة في بلاد المشرق واشدهم دهاء هذا الرجل خلف يوسف وهو من ذريتهِ

تنكرد — اذاً هو من جملة الوزراء الذين يعدّهم صاحبك الصيدوني من اليهود

بسو — نعم ولسنا غرباء عن حكومات العالم بل لنا نصيبنا منها

تنكرد — يظهر لي انكم تحكمون الدنيا كلها ما عدا بلادكم

بسو — وكان يمكننا ان نحكمها منذ سنتين ولكن ما لنا ولهذا الموضوع وهو ليس مما يهمك

تنكرد — مَن قال انهُ لا يهمني واي موضوع يهمني اكثر منهُ فان حكومة هذه البلاد همّت واحدَ من اسلافي منذ ستمئة سنة حتى استلّ سيفهُ واتاها

وكانت الكواكب تتلألأ فلا يرى بريقها بين مئات المصابيح المتألّقة في الخيمة والاروقة التي حولها واتكأ الضيوف على البسط بعد الطعام وجعلوا يدخنون التنباك المطيَّب بالندّ والعود وتقدَّم القنصل لورلاً الى تنكرد وعرَّفهُ بابنتيهِ فجعلتا تكلمانهِ عن المراقص والمراسح لكي لا يحسب ان دمشق خالية من كل آثار التمدُّن وقبل ان يُحصر عن مجاراتهما في الحديث طُلب منهما ان يتحفا الجمع بشيء من غنائهما فاعتذرتا اولاً بانهما لم تغنّيا قط خارج البيت ثم اجابتا الطلب واغتنم تنكرد هذه الفرصة ودنا من حواء فرآها تتكلم مع اخت هلال ومدام نسيم فارحي فقال لهنّ ان ابنتي لورلاً على غاية من الظرف والتهذيب ولكنني افضل سماع التراتيل والتسابيح في دمشق على سماع الاغاني

حواء — وفي اوربا ايضاً افضل غنائكم متعلّق بتاريخنا

تنكرد — نعم ولا شيء يُعبَّر بهِ عن تلك المواضيع السامية غير الشعر ولا قلم يصفها ما لم يؤيد بالالهام

مداموازل فارحي — عندنا صلاة اسمها صلاة موسى في مصر سمعتُ بنتي لورلاً تنشدانها مرةً ولا احلى منها

حواء — يا حبذا لو اتحفتانا بها ساقول لهلال لكي يطلب ذلك منهما . ثم اشارت اليهِ

فدنا منها ولما سمع ما قالت ضحك وقال انهما ستتحفاننا الآن بدور بديع من دون باسكل . ولا بأْس بالصلاة ولكن الغناء المعروف بالسريناد اليق بنا الآن

والتفتت حواءُ الى تنكرد بعد حين وقالت لهُ كيف رأَيت ابي فقال لها هو عين الرجل الذي وصفهُ لي الصيدوني يستحق ان يكون ابًا لكِ بل ابًا للناس كلهم

حواءُ — ودَّ كثيرًا ان يراك وقد سُرَّ برؤْيتك سرورًا عظيمًا

تنكرد — كان يجب ان اتعرَّف بهِ قبل الآن وان امضي الى بيتكم حالما وصلت الى القدس واتعرَّف بكم ولكن اللوم عليَّ لانني لم افعل ذلك

حواءُ — نشكر الله لاننا التقينا كلنا الآن ولانك صرت تعرفنا ولو قليلاً حتى اذا رجعت الى بلادك تستطيع ان تدافع عنا اذا اساء الناس ظنهم بنا واضطهدونا زاعمين اننا نصلب اولادهم في عيد الفصح كما فعلوا منذ سنين قليلة

تنكرد — لستُ عازمًا على الرجوع الى بلادي واذا اضطهدوكم فارجو انني استطيع الدفاع عنكم ولو كنتُ هنا

جوٌّ صافٍ ونسيم بليل وازهار زاهرة وثياب فاخرة وجواهر متأَلقة ووجوه متأَنقة وكل مجالي العظمة والجلالٍ والتيه والدلال كل ذلك ادهش تنكرد فوقف مبهوتًا ثم التفت الى اخت هلال وقال لا ينقصنا لاتمام بهجة هذه الليلة الاَّ جمال اولادكِ فاين هم

قالت هم نيام ولم ينقدوا شيئًا لانهم يحلمون الآن بالاغاني والازهار كما كانت ملكة سبا تحلم بها

وقالت حواءُ يقال ان اولادنا يكونون في صغرهم من اجمل الناس ولكنهم متى كبروا فقدوا كثيرًا من جمال الصبا لاننا نرسخ في اذهانهم انهم شعب مهان فتظلم عيونهم ويعتاضون عن البهجة والحبور بالهموم والغموم لعلمهم انهم مطرودون من بلادهم مشتتون في اقطار المسكونة مضطهدون من كل الشعوب ولكن لو رفعنا قلوبهم عن حطام هذه الدنيا وعلمناهم ان يحترموا انفسهم لبقيت وجوههم طلقة عليها سيماءُ البشر والسرور

خرج هذا الكلام الفريد بل هذا الدر النضيد من فم زانهُ محيًّا كلهُ بشر ومهابة فنظر تنكرد اليها وقد جمعت افكارهُ حولها كل ما رآهُ منها من اول ساعة اكتحلت عينهُ بمرآها الى الآن في بيت عنيا وفي قفار بلاد العرب لما وقفت امامهُ تنظر اليهِ نظر الحنو والشفقة بعد ان شفتهُ بدوائها واعتنائها وكلمتهُ في اسمى المواضيع واقربها الى فؤَادهِ . نظر اليها الآن فصعد الدم الى رأْسهِ وحُصر عن الكلام ولكنهُ تنهَّد من كبد حرَّى

وحينئذٍ جاء هلال وفخر الدين وهما يكادان يرقصان طربًا ومدَّ هلال يدهُ الى حواء وقال اذا اردتُنَّ ايتها السيدات ان ترين سلَّة العرس التي وصلت الآن من مرسيليا فاتبعنَنا فقد اختارتها لي زوجة سفير النمسا المقيم الآن في باريس وما هو نفع السفراء اذا كانوا لا يقضون حوائجنا

وسار هلال مع حواء وتبعتهما اختهُ ومدام نسيم وبقي تنكرد وفخر الدين وراءها فقال تنكرد مَن هذا الشاب . فاجابهُ فخر الدين هو خطيب حواء الذي سلبني اياها ولكني ارجو ان يتبناني ابوها بعد زواجها وانا ابنهُ على نوع ما لان زوجتهُ ارضعتني وربتني . واذا لم يتبنَّني فلا اقلَّ من أن يوفي ديوني . ولما قال ذلك سمعوا ضحكًا وقهقهة في الجانب الآخر من الخيمة فقال فخر الدين لتنكرد انظر كيف اجتمعوا حول سلة العرس حتى نسيم فارحي اجتمع معهم ولا بدَّ لي من ان اكلم هذا الرجل فانهُ ليس مثل اخيهِ مراد الذي لا يفرق عن الحجر ولا تقدر ان تقنعهُ بشيءٍ ولا اتخذتَ زوجتهُ واسطة لاقناعهِ . تعال معي

تنكرد — اذهب وساتبعك . قال تنكرد ذلك وخرج الى رواق من الاروقة القائمة فوق زوايا السطح ونظر الى ما حولهُ وكان القمر قد طلع من الافق واستطارت اشعتهُ على رؤُوس المآذن وقباب الجوامع فشملت بعضها بوشاح من اللجين وبقي البعض الآخر ملتحفًا بدياجير الدجى ووراء المدينة غوطة الشام باشجارها البواسق وقصورها الشواهق ووراء الكل بادية الشام منبسطة كبحر لهُ اول وليس لهُ آخر

ووقف تنكرد هناك وقد علت جبينهُ سحابة من الكآبة فاستند الى عمود من اعمدة الرواق وتنفَّس الصعداء وهو يقول في نفسهِ اواهُ يا دمشق لو كنتُ مكانكِ ما تركت حلب تسلبني هذه الجوهرة ولكن لا بدَّ من انزع ذلك من قلبي لانني مخلوق لامور أُخرى

الفصل السابع

لما وصل باروني الى دمشق اغتسل وهذَّب لحيتهُ واعتمَّ بعمامة بيضاء واستأجر حمارًا وسار في اسواق المدينة من سوق الى آخر كأنَّهُ سائر في طريق بيتهِ . والاسواق ضيقة مزدحمة باقدام المارَّة ودكاكينها مشحونة بالبضائع الشرقية والغربية من الاسلحة والاقمشة الحريرية والقطنية من الهند ومنشستر عدا البضائع الشامية المختلفة . وما زال يسير الى ان بلغ سوقًا قليلة الازدحام عالية السقف وهي سوق العطَّارين حيث تباع العقاقير والطيوب والاصباغ وهناك رجل لابس ثوبًا احمر عنابيًا اطرافهُ مبطنة بالفرو وعلى رأسهِ عمامة قاتمة اللون وهو اقنى الانف ازرق العينين. فلمَّا وقعت عينهُ على باروني سلَّم عليهِ ورحَّب بهِ واجلسهُ معهُ وسألهُ عن

سلامتهِ وعمَّا اذا كان قد عاد الى الشام منذ زمن طويل. فقال باروني كلاَّ وهل انت باقٍ هنا منذ افترقنا آخر مرة فقال كلاَّ ولكنني كنت اتردد على الشام. فقال باروني وكيف اصحابك في الجبال. فقال بين بين. فقال باروني اذًا الحال ليست على ما يرام. فقال وانتَ هل مضيت الى بلاد الافرنج. فقال باروني انا دائمًا في بلاد الافرنج وماذا تريد من ذلك فقال الرجل ألاَ تعرف احدًا يشتري مني رزمة من اجود انواع السقمونيا (١) فقال باروني أليس فيها نشاءٌ ولا مرٌّ. فقال الرجل اتظن انني يهودي. فقال باروني اني لا اعرف من اي امَّة انت يا صاحبي دركوش اما من جهة السقمونيا فاظن انني اجد من يشتريها منك ويشتري ايضًا كل ما عندك من الكثيراء والعفص. فقال دركوش اما الكثيراءُ فلا احد في الشام عندهُ كثيراءُ نقية غيري واما العفص فكل احد يظن انهُ تاجر عفص ولكن هل عفصهم من حلب مثل عفصي

باروني — اصبْت يا دركوش وانا اعلم انك لا تتكلم الاَّ الصدق ويمكنني ان اشير على كل احد ان يبتاع البضائع منك بضمير صالح وقد حلمتُ امس اننا سنتعامل معاملة ماليَّة اليوم

دركوش — وانفع الاصدقاء اذا كانوا لا ينفعون بعضهم بعضًا فقد قيل ان الصديق لوقت الضيق

باروني — لا فُضَّ فوك وانا الآن في اشد الضيق فاني مسافر مع امير انكليزي وقد اقسم ان يمحوا اثري ما لم اجد لهُ سبيلاً لزيارة بلاد النصيرية

دركوش — دعهُ يزرْ سليمان الحكيم في بلاد الجان قبلما يزور بلادنا

باروني — اظن انهُ يزورهُ ويزورها لانهُ رجل عنيد يفعل كل ما يريد ولكن لنرجع الى السقمونيا اظن ان اجود انواعها في بلادكم ويمكننا ان نستبضع منها قدر ما نريد ولكن اذا كانت زيارتها غير ممكنة فما في اليد حيلة

دركوش — غير ممكنة

باروني — لنرجع الى السقمونيا ألاَ تتذكر سيدي القديم يا دركوش

دركوش — نعم اتذكرهُ مع انني كثير النسيان

باروني — هذا الامير الذي انا مسافر معهُ الآن هو صديق لسيدي القديم فاذا كنت تخدم هذا فكأنك خدمتَ ذاك

دركوش — من الامور ما يمكن ومنها ما لا يمكن

باروني — لنرجع الى السقمونيا ولكن لما كان سيدي ذاك عازمًا على زيارة بلادكم منذ

---

(١) السقمونيا نوع من النبات المخدّر

خمس عشرة سنة لم تكن تقول لا. ولولا الطاعون لزارها

در كوش — سبحان من يغيّر ولا يتغير

باروني — سبحانهُ على كل حال . فلنرجع الى السقمونيا ان للنصيرية اصدقاء كثيرين في غير هذه البلاد فاذا لم تسمعوا لهم خسرتم كثيرًا ومهما يكن الحال فانا مضطر ان اسهّل لهُ هذه الزيارة ولو دفعتُ الف غرش والاَّ قُطِع رأسي

در كوش — امراء الافرنج لا يقطعون الرؤوس بل ينفون اعداءهم الى الجزائر التي تسكنها الشياطين

باروني — ولكن هذا الامير هو اخو ملكة الانكليز على ما يقال

در كوش — فاذًا انت من خدَّام الملكة

باروني — نعم وانت ايضًا من خدَّام ملكة على ما اسمع

در كوش — نعم وهذا هو السبب في امتناعي عن اعطائكم الجواز الذي لم امتنع عن اعطائهِ في عهد ابيها

باروني — وهل هي صارمة الى هذا الحد

در كوش — نعم ولا تريد ان ترى المسلمين ولا النصارى وهي الآن في حرب مَع الاثنين وستبقى في حرب مدى العمر لان هذه الحرب لا يستطيع احد ان يزيل اسبابها

باروني — وما هي هذه الاسباب

در كوش — انما تعلمها في جبال النصيرية

فاخذ باروني يفكر في الامر ثم قال لهُ الآن فهمتُ ما لم افهمهُ قبلاً فان الامير الذي انا في خدمتهِ صديق لقومك ويعلم لماذا انتم في حرب مع المسلمين والنصارى وهو قليل الكلام غامض الافكار صعب المراس جدًّا لم اتجاسر ان اسألهُ لماذا يريد ان يزور بلادكم ولكن الآن فهمتُ ممَّا سقط منك انهُ واحد منكم وقد جاء من بلاد بعيدة ليزور ابناء جنسهِ . وهو عظيم بين قومهِ ترى الدنانير في يدهِ كالماء ولا شبهة عندي في ان لهُ شأنًا كبيرًا مع ملكتكم ولكن اذا كانت زيارتهُ غير ممكنة فما في اليد حيلة فلنتركها ونرجع الى السقمونيا

فقال در كوش بصوت منخفض أتظن انهُ واحد منا . فقال باروني نعم هذا ظني . فقال در كوش لا سبيل الى الجواز ولكن اذا كان هذا الرجل واحدًا منا فلا بدَّ لي من ان اراهُ فاين يمكنني ان اقابلهُ

باروني — هذا كلام لا يمكنني ان اقولهُ لهُ . فقد اشرتُ اشارة خفيفة الى المجيء الى

هنا فقطب جبينهُ وعبس كأنهُ ابليس اللعين وكاد الشرر يتطاير من عينيهِ . ولكن اذا كانت زيارتهُ غير ممكنة فما في اليد حيلة ولا بدَّ لهُ من العودة الى بلادهِ من غير ان يرى ملكتكم مع انهُ قد يكون اخاها وسيبقى عمرهُ كلهُ كارهاً للمسلمين والنصارى ولكن لا بدَّ لهُ من ان ينفيني الى جزيرة تسكنها الابالسة

دركوش — لا بدَّ من اطلاع الملكة على هذه الامور كلها وانتظار اوامرها

باروني — انتظار اوامرها ماذا تعني يا رجل انت لا تعرف طبع سيدي فانهُ احمى من النار ولذلك قلت انهُ منكم فكيف يصبر حتى يمضي الرسول ويرجع مسافة ثلاث مئة ميل فضلاً عن التأخر الذي يتأتى من تردُّد امرأة وملكة

دركوش — غداً اخبرك باوامرها قبلما تغيب الشمس والآن هات اخبرني كم اقة تريد من السقمونيا

باروني — كل ما تقدر ان تبيعني اياهُ والثمن نقداً ادفعهُ لك غداً وابقِ البرش عندك الى ان ازور الشام مرةً اخرى

فوضع دركوش النارجيلة جانباً واخرج حمامة من جيبهِ واوقفها على يدهِ وقال لباروني غداً يأتينا الجواب من الملكة وسارسل اليك الجواب الى الخان عند غروب الشمس

القسم الخامس

الفصل الاول

فارسان في شعب بين الجبال لابسان لباس الاكراد مع كلٍّ منهما رمح طويل وسيف احدب وفي منطقتهِ فردان وامامهما سهل ضيق ووراءهما نجود فسيحة تصل الى جبال شامخة . البلاد كلها موحشة لا انيس فيها غير الصخور السوداء والتلال الجدباء تطل عليها قنن شاهقة كلل الثلج هاماتها فزاد منظرها رهبةً ووقاراً . لكنَّ الموغل في هذه البلاد يرى فيها اودية كثيرة الجداول حولها الحدائق والبساتين وهي كثيرة الزرع والضرع حتى جوانب الجبال والآكام لا تخلو من اغراس الزيتون والعنب والتين وفيها القرى الكثيرة السكان وهم اهل زراعة يزرعون القطن ويحلجونهُ ويغزلونهُ وينسجونهُ ويصنعون ثيابهم منهُ ويصدرون من بلادهم كثيراً من الحبوب والصموغ والشمع والصوف . دار بين هذين الفارسين الحديث الآتي

قال احدهما " رأيت نسرين على جبل كفلس هذا الصباح فما مفاد ذلك " فاجابهُ الآخر

" مفادهُ الفوز لملكتنا فان كان هؤلاء الافرنج يدفعون الاموال الطائلة لمن يريهم بعض الاعمدة في برية تدمر فلا يبعد ان يعطونا مفاتيح خزائنهم اذا ادخلناهم بلاداً لم يدخلها احد قبلهم "

" ولكن يقال ان احدهما واحد منا "

" لم يقلْ احد قبل الآن انهُ يوجد احد منا في بلاد الافرنج لان الافرنج كلهم نصارى وكانوا متوحشين قبلما تنصروا "

" ولكن الوزير كفرنيس امر بان يحرَس هذان الرجلان كأَنهما الملكة نفسها وقال ان احدهما امير افرنجي وانهُ واحد منا "

" عاش ابي مئة سنة وعشر سنوات وكان لهُ اربعة وعشرون ولداً ولما حضرتهُ الوفاة قال لنا شيئين الاول ان لا ننسى اصلنا والثاني انهُ لم يدخل بلادنا اجنبي في زمانهِ "

" هوذا النسران طائران فوق جبل كفلس فلا بد من ان يكون هذان الغريبان قد صارا قريبين منا "

" عسى ان لا يلحق بنا ضرر من زيارتهما "

" هل ترتاب فيهما "

" نعم وقد كنا وحدنا وخير لنا ان نبقى وحدنا "

" صدقتَ وقد ذهبتُ مرةً الى حلب ولا اريد الذهاب اليها مرةً اخرى، "

لا شيء مثل الجبال جبال آبائنا واجدادنا وما فيها من الطيبات لا مثيل لها في اسواق حلب ولا في جنائن الشام

" نعم ولا مثل ملكتنا ولا شبيه لها الاَّ . . . لكنني لا اسميهِ وانت تعرفهُ "

" نعم وعندنا اشياء لا تُعرَف في اسواق حلب ولا توجد في جنائن الشام "

وكانت الحمامة قد وصلت الى ملكة النصيرة ببطاقة من دركوش يقول لها فيها انهُ رأى اميرين احدهما من لبنان والآخر من بلاد الافرنج وهما يرغبان في دخول بلادها والمذاكرة معها في بعض المهام وانهُ يعتقد ان الافرنجي منهما واحد من النصيرية انفسهم. وفي مساء اليوم التالي عادت حمامة اخرى بجواب الملكة وهي تأمر دركوش ليجيز لهما الدخول الى بلادها ومعهما اثنان من اتباعهما لا غير. فقاما من دمشق ومضى معهما باروني وسارا نحو جبال النصيرية وعرَّجا على حماه وحلب اولاً لان تنكرد كان يريد مشاهدتها قبل ان يضطر الى مغادرة البلاد. ثم سارا من حلب وعبرا نهر الكويك. وكان الجفاء مستحكماً بين والي حلب وملكة النصيرية لان الوالي طلب الجزية من بعض القرى التي يدَّعي النصيرية انها من قراهم وانها

داخلة في العهدة التي عُفي النصيرية بموجبها من دفع الجزية للحكومة العثمانية فجعل النصيرية يشنون الغارة علي سهول حلب واتحدوا مع الاكراد على مناوأة الاتراك لكن دركوش اعطى باروني رسالة الى عميل النصيرية في حلب وهو رجل داهية فسهَّل لتنكرد ورفاقهِ الوصول الى جبال النصيرية فوصلوها سالمين بعد أَن لقوا في طريقهم من المخاطر ما ايقظ نخوتهم وبسالتهم وزاد بهجتهم وطلاقتهم . وهذا شأن اولي الهمم والعزائم فان سيف العزيمة يصدأُ ان لم يجرَّد من غمدهِ . وكان تنكرد ونخر الدين راكبين جوادين كريمين يخطران بهما تيهًا ودلالاً وقد لعبت برأسيهما نخوة الشباب فلما دخلا الشعب قال تنكرد ما احصن هذا الموقع فقال نخر الدين نعم ولا تدري ما وراءه ُ . وكان الشعب قصيرًا فقطعاه ُ سريعًا وبلغا نجدًا تحدق بهِ الجبال الصخرية من كل ناحية وعلي واحد منها حصن كبير وكانت طريقهما توصل اليهِ كلما قربا منهُ وجدا اكثره ُ منقورًا في الصخر حتى ابراجه ُ ومتاريسهُ والطريق اليهِ متعرجة فوصلا اولاً الى باب كبير غلقاه ُ من الحديد ففتح لهما ودخلا منهُ الى سرداب طويل مظلم لا يسع الاَّ فارسين يمران فيهِ وسار امامهما اناس بالمشاعل الى ان بلغا ساحة كبيرة مكشوفة تنصب عليها اشعَّة الشمس وحولها ابنية كثيرة مختلفة الاشكال والاقدار والمقابل منها للسرداب برج رفيع . وكان في الساحة قليل من الفرسان وكثير من الخدم والحشم فاقبلوا على تنكرد ونخر الدين وساعدوهما على الترجُّل .وداخل تنكرد بعض الشك ونظر الى نخر الدين فرآه ُ مرتابًا مثله ُ لكنهما سلَّمَا امرهما الاقدار وسار بهما الخدم من غرفة الى اخرى ومن رواق الى آخر الى ان بلغا دارًا داخلية غرس فيها شجر السنط وادخلوهما مقصورة تطل عليها وقدَّموا لهما الشبقات والقهوة وبقي باروني مع الاتباع في الدار الخارجية . وجاءهما رجل طويل القامة نحيف الجسم يمشي الهوينا فدخل المقصورة وحيَّاهما ورحَّب بهما وجلس معهما . وكانت لوائح العظمة والمهابة تلوح علي وجههِ وتظهر من كلامهِ كأَنهُ ربُّ المكان . فقال له ُ تنكرد ” اظن انني انا والامير نخر الدين متشرفان الآن بالكلام مع الوزير كفرنيس “ . فاحنى لهما رأسهُ وقال ” عسى ان لا ينتظر امير انكلترا في هذه الجبال شيئًا من الملاذ التي يراها في بلادهِ حيث يكثر العبيد فيقضون الاعمال كلها على اتم المراد وهذا امر تمتازون بهِ علينا نحن سكان هذه الجبال ولا سيما بعد ان حُرمنا من المواني البحرية ولم نعد نستطيع ابتياع العبيد من التركمان والاكراد

فقال نخر الدين ” اظن ان الروس ناظروكم في ذلك وغلبوكم “ . فقال كفرنيس لقد اصاب الامير في ما قال فان الروس ملأُوا دورهم الآن بالعبيد والجواري من شمالي اسيا

تنكرد — يظهر ان الوزير كفرنيس سافر اسفارًا طويلة

كفرنيس — لقد اصاب الامير الانكليزي في ما قال فاني قد زرت كل مدن الشام ما عدا القدس التي لا اريد ان اراها ولا تصلح الاَّ ان تكون مزربًا للخنازير

فاضطرب تنكرد من هذا الكلام ولكنهُ ملك نفسهُ ولم يفه بكلمة

فخر الدين — وهل اتيتَ جبل لبنان

كفرنيس — نعم ايها الامير وكنت ضيفًا على الامير بشير وتذاكرنا في امور ذات شأن ولو تمَّ ما كنَّا ننويهِ ما كان الامير اسيرًا الآن في استانبول

فخر الدين — ولماذا لم يتم الاتفاق بينكم فانكم لو اتفقتم لملكتم اسيا كلها

كفرنيس — لقد اصاب الامير الكريم في ما قال فان قوة النصيرية عظيمة جدًّا

تنكرد — يقال ان عند ملكتكم خمسة وعشرين الف فارس فهل ذلك صحيح

كفرنيس — نعم خمسة وعشرون الف فارس وكل واحد منهم يقام ثلاثة من الدروز او تسعة من الموارنة

فاستشاط فخر الدين غضبًا من هذه المضاهاة وقال لهُ ان رجالكم لا يساوون قشرة بصلة ولكن دخل حينئذٍ اربعة عبيد واربع جواري ومعهم كؤُوس الشراب من عند الملكة فلم يسمع كفرنيس ما قالهُ فخر الدين وتقدَّم العبيد والجواري وقدموا كؤُوس الشراب وهو مبرَّد بالثلج ثم عادوا من حيث اتوا . وذُكِرَت الملكة فقال كفرنيس انها لا تراهما ذلك اليوم وقد لا تراهما في ذلك الاسبوع بل في الاسبوع التالي . فقال تنكرد أَهي اول ملكة ملكت على النصيرية . فاجابهُ كفرنيس نعم هي اول ملكة بعد احتلالنا هذه الجبال . فقال فخر الدين واين كنتم قبل ذلك . فقال كفرنيس كنا في مدن لا يمكن ان ننساها ولذلك لا يمكننا ان نذكر اسماءها

وكان تنكرد وفخر الدين يودَّان ان يعرفا اسم الملكة ولكنهما لم يريا من الكياسة ان يسأَلا وزيرها عنهُ . وحاولا وهما آتيان الى جبال النصيرية ان يعرفا اخبارهم فكان كل احد يقصُّ عليهما من الاخبار ما يناقض ما قصَّهُ غيرهُ حتى تتعذَّر عليهما معرفة الحقيقة وقد كلمهما الوزير كفرنيس كلامًا طويلاً ولكنهُ حشاهُ بالتجمُّل والتفخيم حتى لم يفهما شيئًا منهُ ولم يعرفا من امر النصيرية شيئًا

الفصل الثاني

"قومي نذهب من هنا يا شبرا فقد ضاق صدري واضطرب فؤَادي"

"لا بأس عليكِ يا مولاتي فما هي الاَّ بغتة ثمَّ تمضي"

"بغتة اهكذا تكون البغتة اذًا لم أُبغَت في حياتي"

” ويظهر لي انها انبغتت كما انبغتنا “

” اصمت يا شبرا ولا تضحك لئلا يسمعا صوتكِ “

” اتسمّين هذا ضحكاً يا مولاتي اذاً لم اضحك في حياتي “

” عسى ان لا يريانا ولا يسمعانا “

كانت المتكلمة ملكة النصيرية نفسها وهي فتاةٌ في الثامنة عشرة من عمرها اسيلة الخد واضحة الجبين سوداء الشعر بعينين مكحولتين كالبنفسج . وقد سدلت على وجهها نقاباً يحجبهُ عن الانظار . تكلّمت بذلك وهي سائرة مع واحدة من جواريها بعد ان اطلّتا على المقصورة التي فيها تنكرد وفخر الدين من حيث ترَيان ولا ترُيان . واتّفق ان فخر الدين نهض من مجلسهِ فذعرتا وهربتا وسارتا في رواق طويل يؤدي الى غرف كثيرة ومنها الى رواق آخر يطل على حديقة غناء زرع فيها الآس والياسمين فلما بلغتاهُ جلست الملكة على ديوان فيهِ وتنفست الصعداء وهي تقول لا بدَّ من انهم رأَونا يا شبرا . فقالت شبرا كلاَّ مولاتي ولا يمكن ان يكون قد رآنا احد . فقالت الملكة ولكن لا بدَّ لهما من ان يريانا ولا ادري كيف اقابلهما اذا كان فؤادي يضطرب كذلك . فقالت شبرا دعيهما ينتظرا بضعة ايام حتى تألفي منظرهما . فقالت لا يمكن ان آلف منظرهما ولا يليق ان ندعهما ينتظران طويلاً . وقد كان عذرنا امس انهما متعبان من وعثاء السفر ولكن اي عذر نجدهُ اليوم يا شبرا

شبرا — اذا كنتِ اليوم تعينين الوقت الذي تقابلينهم فيهِ فلا اظنهما يكونان غير راضيين

الملكة — ولكنني انا لا اكون راضية لانني لم اعُدْ استطيع صبرًا بل لا بدَّ لي من رؤيتهما

شبرا . اذًا مُري كفرنيس باحضارهما

الملكة — اسمعي ما هذا الصوت

شبرا — هذا صوت الغزال في الحديقة فلا تجزعي

الملكة — يا حبذا لو كنتُ اياكِ ولكن هاتِ اخبريني مَن منهما تظنين انهُ منا

شبرا — كلاهما غاية في الجمال والظرف ولكن الاشقر منهما يشبهكِ يا مولاتي في ملامحهِ

الملكة — ولذلك تظنين انهُ هو الذي منا

شبرا — اود ان يكون كلاهما منا يا مولاتي

الملكة — ولكن ألا يخطر لكِ يا شبرا انكِ رأيتِ صورة هذا الشاب قبلاً . راجعي فكركِ

شبرا — بلى يا مولاتي

الملكة — مَن هو اذكري اسمهُ في اذني

فتقدمت شبرا الى مولاتها واسرَّت في اذنها . فعلت وجه الملكة حمرة الخجل وتبسمت وقالت نعم فهو اذًا واحد منا

الفصل الثالث

بينا كان تنكرد وفخر الدين يفكران في ما يفعلان مدة اسبوع الى ان تأذن لهما الملكة في مقابلتها اتاهما الوزير كفرنيس وقال لهما ان الملكة اذنت في ان يقابلاها ظهر اليوم التالي . وفي الوقت المعين جاء بهما ومعهُ بعض الحاشية وصعدوا بهما على سلّم رفيع وساروا في رواق من الخشب ثم نزلوا على سلّم آخر ودخلوا مقصورة كبيرة فلقيهم الغلمان ودخلوا بهما مقصورة أُخرى اكبر من الاولى انتظرا فيها مدة وجيزة ثم أُذن لهما في الدخول الى حضرة الملكة

وكانت جالسةً في ديوانها لابسةً حلة من الارجوان وشعرها الاسود الطويل مسدول على كتفيها وفوق جبينها اكليل من الذهب وكان عن يمينها وزيرها كفرنيس ورئيس الحرس الخاص ورجل آخر طويل اللحية ابيضها كانهُ كاهن عظيم الشان ووراءهم كثير من رجال الحاشية وعن يسارها ثلاث من جواريها ووراءهنَّ كثيرات من الجواري الحسان ووراء الجميع جمهور من الرجال بالعمائم البيضاء والثياب السوداء

ولما مثل تنكرد وفخر الدين في حضرة الملكة خاطبهما الوزير كفرنيس قائلاً " ان جلالة الملكة العظيمة الشان تطلب من حضرة الزائرين الكريمين ان يجلسا في المجلسين المعدين لهما " وللحال اشير الى تنكرد فتقدم الى مجلس عن يمين الملكة مقابل لها وجلس فيهِ وتقدم فخر الدين الى مجلس آخر عن يسارها وجلس فيهِ وكان فخر الدين لابسًا ثيابهُ الشامية المقصبة ومتقلدًا اسلحتهُ المذهبة وتنكرد لابسًا ثيابًا اوربية مقصبة ايضًا وعلى رأسهِ الريشة الكبيرة التي يلبسها فرسان اليومنري

والتفتت الملكة الى تنكرد وقالت لهُ انت من امراء الانكليز فقال نعم انا من الانكليز ومن رعايا الملكة لاننا نحن خاضعون لملكة مثل جلالتك

ثم التفتت الى الامير فخر الدين وقالت ان آبائي وبيت شهاب كانوا دائمًا اصدقاء فقال فخر الدين وعسى ان تدوم هذه الصداقة ابد الدهر لانهُ اذا اتفق الشهابيون والنصيرية صارت بلادنا جنة من الجنان

والتفتت الى تنكرد وقالت انتم تقضون جانبًا من العمر في السفن . فقال نعم نحن نسكن جزيرة وحصر عن الكلام فقال الوزير ان الانكليز يقيمون في السفن ستة اشهر فقط من السنة

ولا سيما حينما يمضون الى الهند واما بقية شهور السنة فيقضونها في بيوتهم

فقالت الملكة اذًا انتم تمضون الى الهند في السفن . فاحنى تنكرد رأْسهُ فقالت وهل ملكتكم من عمري . فقال كانت من عمر جلالتك لما ملكت. فقالت وكم مضى عليها مالكة . فقال سبع سنوات . فقالت وهل تسكن في قلعة فقال نعم ان جلالتها تقيم غالبًا في قلعة شهيرة . فقالت ولا بدَّ من ان تكون منيعة فقال نعم

والتفتت الى فخر الدين وقالت لا يزال الامير بشير في استانبول فقال اظنهُ الآن في بورصة . فقالت وهل هو مبسوط هناك . فقال ليس كما كان في استانبول. فقالت وهل استانبول اكبر المدن فقال لا اظن . فقالت اي مدينة اكبر منها . فقال مدينة لندرا اكبر منها وهي عاصمة الانكليز وتتلوها مدينة باريس عاصمة الفرنسويين . فقالت كم عدد سكان استانبول فقال خمس مئة الف

والتفتت الى تنكرد وقالت لهُ هل رأَيت انطاكية فقال لم أَرها حتى الآن . فقالت وهل رأَيت بيروت . فقال نعم . فقالت ان انطاكية تظهر الآن اصغر من بيروت ولكنها كانت قديمًا اكبر من استانبول ولا يبعد انها كانت اكبر من عاصمتكم الآن . فقال نعم وكانت اجمل منها كثيرًا . فتنهدت وقالت اذًا انت عارف بهذه الامور فاخبرني لماذا لم تبقَ انطاكية كما كانت كبيرة مثل استانبول ولندرا واجمل منهما كثيرًا . فقال هذه مسأَلة يحار في حلها الحكماءُ . فقالت انا لست من الحكماء ولكني اعرف حلها . فقال حبذا لو تكرمتِ جلالتكِ بحلها لنا . فقالت ما كل ما يُخال يُقال . ونظرت الى كفرنيس كأَنها تطلب منهُ ان يصدق لكلامها فقال كفرنيس لقد اصابت جلالتها في ما قالت ونطقت بالحق والصواب

وصمتت الملكة مدة وجيزة ثم اشارت بيدها فخرج الجميع من المقصورة ولم يبقَ فيها غير الوزير وتنكرد وفخر الدين وكان الوزير واقفًا فامرتهُ بالجلوس فجلس امامها متربعًا . فنظرت الى الاميرين وقالت لهما اهلاً وسهلاً بكما ايها الاميران فقد دخلتما حصنًا لم يدخلهُ احد قبلكما من غير شعبنا لاننا قوم نحب الانفراد نحن لا نرى ولا نرى ولا مطمع لنا في شيء وغاية ما نطلبهُ ان نبقى مستقلين ونعيش كما عاش آباؤُنا من قبلنا . جبالنا وعرة قاحلة واوديتنا لا تنبت شيئًا الاَّ بعد التعب الشديد ولا ذهب عندنا ولا فضة ولا جواهر ولكن عندنا اشياء تعزينا وتسلينا وهي امور يشترك فيها كل واحد منا . ولما بعث الينا دركوش خادمنا الامين يقول ان اميرين من الامراء يرغبان في المجيء الينا والتكلم معنا في بعض المهام كان يعلم اننا لا نسمح بدخول احد يكلمنا في امر الانكليز والمصريين والترك والافرنج لانهُ لا قيمة عندنا لشيء من

ذلك . ونحن النصيرية كنا قبل ان عُرف اسم الاتراك والافرنج في بلاد الشام وسنبقى كما نحن ولذلك اقول لكما صريحًا ان دركوش خادمنا الامين اخبرنا انكما لا تطلبان الكلام معنا في المهام السياسية ولا في الامور التجارية ونحوهما من حطام الدنيا الفانية بل في امور اخرى اسمى منها بما لا يقدَّر فبعثنا اليهِ نسمح لكما بالمجيء الينا راجين ان لا تذكرا لنا شيئًا من امور السياسة والتجارة لانها محتقرة في اعيننا ولا قيمة عندنا الاَّ لكلام الحق

ولما اتمت كلامها نظرت الى كفرنيس فاحنى لها رأسهُ كأنهُ يؤمن على كل كلمة قالتها ونظر فخر الدين الى تنكرد يطلب منهُ ان يجيبها على كلامها فتردَّد تنكرد عن الجواب اولاً ثم قال

يظهر لي ولصديقي امير لبنان اننا كنا نصغي الآن الى كلام كلهُ حكمة ونحن نعرف دركوش ولكن الذي اخبرهُ عنا اخبرهُ الصدق فصدق في ما بعث بهِ الى جلالتكِ وهو ان ليس لنا مقاصد سياسية ولا تجارية ولا نحن آتون الى هذه البلاد لمجرد رؤيتها كما يفعل اهل السياحة وانما لنا غرض في الدنيا ونحن نسعى وراءهُ فان العالم استنار من اسيا منذ اول وجودهِ ولا غرابة في ذلك لان الخالق سبحانهُ حلَّ فيها وكلم اهلها لكنها وا اسفاهُ قد ضعف يقينها الآن بتلك الحقائق السامية التي خضع لها نوع الانسان ولذلك نظن انهُ قد حان الوقت لتنهض من سباتها وتثبت سلطانها على المسكونة ونحن واثقون اننا نفعل ما نفعل بالارشاد الالهي ولكن لا بدَّ لنا من اختيار اصلح الناس لهذا العمل السموي وقد ظننا ان سورية وبلاد العرب البلادين اللتين حلَّ الله فيهما وكلم اهلهما من قديم الزمان تأخذان في هذا العمل المجيد وتقومان بهِ فان فيهما امتين لم تزالا على بساطة الفطرة اهالي القفر واهالي الجبال لم تخالطهم شرور الحضارة ولا افسدت عقولهم مفاسد المدن . في الامة الواحدة فرسان لا يشق لهم غبار وفي الثانية مشاة لا تضنيهم المشاق وذلك دليل على ان غلاَّب العالم يكونون من هاتين الامتين معًا . ونودُّ ان نغلب العالم وقوَّادُنا الملائكة لكي يخضع الناس للسلطة الالهية فتستتبَّ لهم السعادة ويمحق الالحاد السياسي الذي خرب الدنيا "

وأصغت الملكة الى تنكرد وقد كاد الوجد يغلبها الى ان اتمَّ كلامهُ فاجابتهُ قائلة " وانا اعتقدُ مثلك بانهُ لا بدَّ من ان تسمو اسيا على غيرها روحيًّا لانها من حين انحطَّت عن مرتبتها لم تعُدْ الحياة نبيلة ولا جميلة كما كانت . وقد ثبت لي مما قلتهُ انكما احسنتما بمجيئكما الى هنا ولكن من تعني بالله وانتَ تتكلم عن بلاد العرب". فقال "اعني بهِ الاله الحي القيُّوم الذي كلم موسى عن جبل سينا في بلاد العرب ومحا آثام الناس على جبل الجلجلة في بلاد الشام "

فقالت وعندنا جبل آخر جبل اولمبس في بر الاناطول هناك اقامت الآلهة وقتًا ما . فقال

اولئك آلهة الشعراء . فقالت كلاَّ بل آلهة الشعب الذين احبوا الشعب واحبهم الشعب

وصمت الجميع برهةً ثم التفتت الى وزيرها وقالت لهُ ان افكار هذين الاميرين دينية طاهرة أَفلا يجوز لنا ان نفتح لهما ابواب هيكلنا الجميل الطاهر . فقال بلى ايتها الملكة العظيمة يجوز لنا ان نفتح لهما ابواب هيكلنا . فقالت ليأْتونا اذًا بالاكاليل والآن ستريان ايها الاميران ما لم يرهُ اجنبيٌّ قبلكما وهذا ايضًا من اسيا وهو روحي الهي

ولما قالت ذلك نهضت فنهض الاميران وجاءت الجواري بالاكاليل ووضعنَ اكليلاً على رأسها واكاليل على رأس تنكرد وفخر الدين وكفرنيس وبعض الخواص ومشت شبرا ورفيقاتها اولاً ثم كفرنيس ورجل آخر ثم الملكة وتنكرد وفخر الدين عن يمينها وعن يسارها ووراءهم جمهور من الحاشية وساروا على هذا النمط الى ان وصلوا الى باب نحاسي قديم الصنعة فانفتح لهم واذا امامهُ سرداب طويل مثل السرداب الذي دخلوا منهُ الى الحصن . ووصلوا من السرداب الى ساحة كبيرة منقورة في الصخر تحيط بها صخور شاهقة من الجهات الاربع ومشوا في هذه الساحة الى ان وصلوا الى رواق قائم على اعمدة ايونية وسلَّم منقور في الصخر فصعدوا عليهِ واذا امامهم كهوف كبيرة هذَّبتها يد الصناعة فصارت منها مقاصير رحيبة ولما بلغوا اعلى السلم رفعت الملكة ومن معها الاكاليل الى السماء واشترك الجميع في الترنيم بصوت رخيم وكانهم كانوا يلفظون الفاظًا تخالف اللغات السورية المعروفة ثم ساروا في الرواق الذي فوق السلم فبلغوا بهوًا كبيرًا فيهِ من الصور والتماثيل ما يدهش العقول

رأى تنكرد هناك التماثيل البديعة التي قرأ عنها منذ طفوليتهِ في تواريخ اليونان والرومان رأى تمثال المشتري ولحيتهُ البيضاء منبسطة على صدرهِ وقصائب شعرهِ مسدولة على كتفيهِ وهو جالس على عرش من العاج وممسك صاعقةً باحدى يديهِ وصولجانًا بالاخرى والنسر عند قدميهِ باسط جناحيهِ . وهناك تماثيل الاهات الجمال وعرائس البحر وكل ما تفنَّنت في صنعهِ يد النقاشين والممثلين واخترعتهُ مخيلة العبَّاد والمتزهدين عباد الفضيلة والجمال . فلما امعن نظرهُ فيها صرخ قائلاً "آلهة اليونان" . فقالت الملكة آلهة النصيرية آلهة اجدادي . ثم قال تنكرد لقد ادهشتني ايتها الملكة حقًّا ان في الدنيا غرائب عجائب لا ابدع من هذه المناظر ولا اجمل منها

الملكة — انت تعرف انها آلهة واما رفيقكَ فلا يعرف ذلك

فخر الدين — اني اشعر الآن كأَنها آلهة

الملكة — كيف تعرف ايها الامير انها آلهة وقد ولدتَ في جزيرة بعيدة في اقصى بلاد الشمال

تنكرد — لقد تعلمت ذلك منذ طفوليتي

الملكة — اذًا اصاب دركوش بقولهِ انك واحد منا . هذا كل ما بقي من انطاكية العظيمة من ابراجها الشاهقة وحراجها المقدسة وجمالها الباهر فانهُ لما ابطل الشعب تقديم الذبائح للآلهة اغتاظت الآلهة منهم وتركت الارض وبقيت بقية منهم على ولاء آلهتها فلجأَت الى هذه الجبال وتماثيلها المقدسة معها وهي هنا الى الآن . هذه هي الاشياء التي تعزينا وتسلينا كما قلت لكما قبلاً . وقد فقدنا كل شيءٍ سواها الغنى والمجد والعلوم والفنون زالت كلها من بلادنا ولا تكاد الارض تنبت ما يقوم بمعيشتنا . نلبس لبس الاكراد ولا نكاد نشبع الطعام مثلهم . ولكن اذا تركنا هذه الجبال وضربنا في السهول مثلهم فقدنا هذه الصور والتماثيل وخسرنا كل ما يرفع نفوسنا الى مصدر الخير والسعادة ويحيي فيها روح الامل باننا سنعود يومًا ما الى مجدنا السابق ويقيننا انهُ متى تمَّ انحطاط اسيا ومُلئت كأْس مصائبها واستوفت ما تستحقهُ من القصاص والنقمة يعود الناس الى هذه الآلهة التي جملت الارض واسعدتها . ولا بدَّ من ان ترحم العباد ثانيةً وتعود الى الارض التي امست بدونها خرابًا . ثم التفتت الى تنكرد وقالت لهُ بصوت رخيم هلمَّ معي ودخلت امامهُ الى غرفة فيها تمثالان صغيران قامتهما كقامة الانسان ووقفت امام واحد منهما وهو مصنوع من العاج والذهب وقالت لهُ أتعرف من هذا . فتفرَّس فيهِ وقال هذا اله الشعر والنور ابلُّوس فيبوس . فقالت هذا تمثال الهنا اله انطاكية اله الحراج المقدسة من يستطيع ان ينظر اليهِ ويرتاب في الوهيتهِ

فقال نعم هذا تمثال ابلو الذي كانت تُذْبح لهُ الذبائح من الثيران وتسكب السكائب من الخمر والعسل وتقرَّب القرابين من المرّ واللبان. فقالت نعم وانت عارف بذلك كلهِ . ثم قال ومن هذه . فقالت تمثال الهة السوريين تمثال الزهرة المجيدة المعروفة في بلادنا باسم استرتي (عشتروث) وباسمها سموني تبركًا (ستأْتي البقية)

* * *

نظرٌ

في عناية الأَعاجم باللسان العربي

لحضرة الاستاذ سعيد الشرتوني صاحب قاموس اقرب الموارد

هذا بحثٌ لا أتذكَّر أني رأَيت احدًا قد نحا نحوهُ او فتح بابهُ في الصحف السيَّارة والمجلاَّت الجوَّالة على ما لهُ من خطارة الشان وما وراءهُ للقارىء من الفائدة واللذَّة وما فيهِ

من زحزحة الستار عن حقيقة تاريخيَّة لغويَّة تخفى على معظم الناشئة فوجَّهت النظر صوبهُ فرأيت فاذا الأَعاجم الأُلى خدموا هذا اللسان الشريف خدمة تضيق عنها وُسعَى عبارات الشاكرين ويُقصِّر عن وفاءِ حقها أَبلغ كلام المقرّظين فريقان اقدمهما خدمةً وأَعلاها صنعاً وأَشرفهما يداً العجم المسلمون الذين ربوا في اللسان العربيّ من مثل سيبويه وابي عليّ الفارسيّ وابي اسحق الزجَّاج من اهل النحو والازهريّ والجوهريّ من اهل اللغة الذين عُنوا بالتدوين والتأليف لما طرأَ على اللغة الفساد كما سترى

واعلم ان الذي دفعهم الى بذل هذا الجهد وحملهم على هذا الصنع الحافظ لسلامة اللسان العربي يدَ الدهر انما هو الحرص على كتاب الديانة الاسلامية ان ينغلق على المفهوم. ومن هنا يعلم ان ليس في اللسان العربيّ من علم الاَّ وللقرآن فضل في استنباطهِ واجتلابهِ

والفريق الآخر الافرنج فهؤُلاءِ وان كانوا بعداءَ عن العرب وطناً ومنفصلين عنهم لغةً وليس الاسلام دينهم فقد قلَّدوا جيد هذه اللغة بقلائد العوارف الغالية

على ان خدمتهم ليست من جنس خدمة اولئك والاختلاف بينهما بالغ حدًّا لا تصحّ عندهُ مفاضلةٌ ولا موازنة فهذه الخدمة وان جلت لا تتعدَّى أَن تكون عملاً احتفاظياً كل فائدتهِ حفظ اجلّ ما في العربية من التصانيف وافضل ما فيها من التآليف التي أُسهرت في تسويدها النواظر وأُنضيت في انشائها جياد الخواطر وذلك بنشرها مطبوعةً مستوفيةً من التدقيق في التطبيق على الاصل جهد ما عندهم من الامكان فيتنزَّل صنيع الافرنج من صنيع العجم في في هذا الباب منزلة القشر من اللباب فلوما القشر ما حُفظ اللباب ولوما الافرنج لفُقد كثير من نفائس المصنَّفات ولأَصبح اللسان العربيّ من بعد تلك الثروة العلمية مُعدماً أَو لاستمرَّت مخبوءةً في بعض الخزائن عرضةً لأَن يلحسها العثُّ . فأَتاح الله لها هؤُلاءِ المتطالّين للاطلاع على تواريخ الأُمم وأَخلاقهم وعاداتهم وعلومهم فوقوها عوادي الزمان ودواهي الحدثان

وأَما اشتغال الافرنج بالعربية فقد ابتدأَ في أَوائل القرن السادس عشر للميلاد . وأَوَّل كتاب عربيّ طُبع في الديار الأُوربية لا يتقدَّم تاريخ طبعهِ سنة ١٥١٤ . واعلم أَن للأَحبار الرومانيين في ادخال العربية الى الديار الافرنجية أَو في تكثير سواد المقبلين عليها من الافرنج يداً لا تنكر وذلك أَن البابا غريغوريوس الثالث عشر أَنشأَ مدرسةً للموارنة في مدينة رومة سنة ١٥٨٤ للميلاد وقد خرج من تلك المدرسة خلقٌ كثير من اهل العلم وأَرباب القلم فأَلفوا وترجموا وعلموا في اوربا وفي هؤُلاءِ جبرائيل الصهيوني الإِهدنيّ الذي اقرأَ العربية والسريانية في مدرسة باريز الملكية وطبع ثمة كتاب قواعد العربية سنة ١٦١٦ وفي رواية

سنة ١٦١٣ وكان هو احد العلماء الموارنة الثلاثة الذين مالأُوا ميخائيل لاجي الكاهن الفرنسوي على عمل البوليكلوتّا الباريزية (اي الكتاب المقدَّس بعدّة لغات). وفيهم ايضاً نادرة الزمان الملقب بأمير العلماء يوسف سمعان السمعاني صاحب التآليف الممتعة الضخمة الذي عاد الى الشرق وضرب في آفاقهِ وأخذ من نفائس تصانيف علمائهِ ما أَخذ ونشر بين ظهراني الافرنج تواريخ الأُمم الشرقية كافةً باللغة اللاتينية

وأن البابا غريغوريوس الخامس عشر احدث الجمعية المعروفة بمجمع نشر الايمان سنة ١٦٢٢ وانشأ لها البابا أُوربانوس الثامن الذي جلس على الكرسي الرومانيّ سنة ١٦٢٧ مدرسةً لتعليم اللغات الشرقية لمن يترشحون رعاةَ دينٍ في الاطراف المشرقية . وجعل فيها من المشارقة اساتذةً للعربية والسريانية . والراجح النازل منزلة اليقين أَن اولئك الاساتذة لم يكونوا الاَّ من تلاميذ مدرسة الموارنة المشار اليها العارفين بهاتين اللغتين الشرقيتين وباللغة الطليانية المحتاج اليها وُصلةً بين المعلم والتلميذ اذ لم يكن بين يدي الحبر الموماإِ اليهِ من المضطلعين بتأدية هذه الخدمة الاَّ تلاميذ مدرسة الموارنة . فذلك كلهُ قد استاق الافرنج للجدِ في تعلُّم العربية وغيرها من لغات الشرقيين فأَقبلوا منذ حينئذٍ على درس العربية وكان هذا الشيء اوَّل الأَمر حبة خردلٍ فاخذ ينمو شيئًا فشيئًا ويتزايد عدد طلابها ويتعدَّد ظهراؤُها وأَنصارها في تلك الأُمم الافرنجية وقد اشتهر فيهم جماعة من المحصلين من مثل اربينوس الذي وضع كتاباً في صرف العربية ونحوها وطبعهُ سنة ١٦١٣ للميلاد بمدينة ليدن ولم يفتإِ الاشتغال متواصلاً حتى نفقت سوق العربية في أُوربا واستفحل امرها وصارت حبة الخردل شجرةً تستظلُّ طير السماء في اغصانها وذلك حين جاء سلفستر دي ساسي الفرنسوي وهو صاحب كتاب جليل في صرف العربية ونحوها طبعهُ في باريز اول مرَّة سنة ١٨١٠ فهذا آتاها من القوَّة ما لم تؤتهُ من قبل ورفعها الى رتبةٍ لم تكن مع تقدُّمها قد ترقَّت اليها . ثم جاء تلميذهُ فليشر الالمانيّ وفريتغ الذي ترجم المعجم العربيّ باللاتينية وطبعهُ بمدينة هلي سنة ١٨٣٠ للميلاد . وكازيميرسكي الذي ترجمهُ بالفرنسوية واتمَّ طبعهُ سنة ١٨٦٠ للميلاد وقد قام بعدئذٍ في الممالك الاوربية خلقٌ من المغرَمين بالعربية المنادين باعمالهم أَنهم من حماة ذمارها وأَشدَّاء أَنصارها . ووضعوا عدَّة تصانيف في صرف العربية ونحوها وجعلوا لها مدرّسين وسعوا في نشر ما لم ينشر من كتبها وتحرَّوا الضبط والاتقان سنَّة العلماء في اعمالهم ولا يزال امر العربية عندهم يعظم سنةً فسنة

والحاصل من كل ما مرَّ أَن القرآن هو الذي ساق العجم المسلمين لخدمة اللغة العربية . وأن حبَّ الاطلاع هو الذي بعث الافرنج على تجشُّم دراستها والضرب في الآفاق لاشتراء

كتبها وطبعها بعد تكرار المراجعة وإِحكام المقابلة . ولتفصيل هذا الاجمال نأْتي بفصلين نستطرد منهما الى خاتمةٍ تناسب هذا البحث الجليل الفائدة

الفصل الاول

في أَخصّ من خدم العربية من العجم

ان الذين استأْثروا بالامامة في علم العربية وذهبوا بفضل السبق في التأْليف هم العجم فقد أَجمع المؤَرخون من افاضل علماء المسلمين واكابرهم على أَن هذا اللسان العربيّ قد استمرّ مع كرور الدهور على صحة اوضاعهِ وفصاحة تراكيبهِ وبلاغة اساليبهِ بريئًا من آفة الهُجْنة واللحن سليمًا من الفساد مِن لدن جرت بهِ الالسنة الى ما قبل ظهور الاسلام بمدة ثمَّ تزايد انتشار الفساد فيهِ وذلك أَن العرب الخُلَّص كانوا الى ذلك اليوم بمنجاةٍ عن مخالطة المتعرّبين لاتقرع آذان صبيانهم الاَّ اللغة الفصحى فتنغرس الفصاحة بالسمع ملكةً في أَلسنتهم. والسمع أَبو الملكات اللسانية . فقد كان الصبيُّ في الحجاز يسمع اهل بلادهِ كلهم أَجمع ينطقون بالفصيح فيقولون في هذه الالفاظ التي ينطق بها البيروتيون واهل بعض الجهات اللبنانية (إِجَا وإِجِتْ وكِيْفْ ومِيْنْ وهَيْكْ) مثلاً (جاءَ وجاءَت وكَيْفَ ومَنْ وهكذا) واما صور هذه الالفاظ من كسروان الى آخر شمالي لبنان فهي كما ترى (جَا وجَاتْ ومَانْ وهَيْكِدْ) فلا ريب ان كلاًّ من الصبيان يأْخذ لغة ابيهِ وعصرهِ وبلدهِ كما يأْخذ دين والدهِ وعادات اهلهِ ووطنهِ . ويصير السمع على تلك الكيفية حائلاً يمنع اللسان عن الخروج بتلك الكلمات عن الصيغ التي تلقَّاها منذ حداثتهِ فما باحدٍ من صبيان الحجاز وبيروت وكسروان مثلاً حاجةٌ الى علم يستعين بهِ على اتباع لغة بلدهِ بل ذلك ملكةٌ ربي عليها كما هو مشاهدٌ لكل احدٍ وليس واحد منهم يطاوعهُ لسانهُ ان ينطق بتلك الكلمات بغير الصورة التي تعوَّدها الاَّ عند إِرادة المحاكاة والتقليد

ولما خرج العرب من الحجاز في طلب ما في أَيدي الامم من الملك ودوَّخوهم ونزعوا الملك من ايديهم وتوالت لهم الفتوح ومصَّروا الامصار ومدَّنوا المدائن وخالطت الأُمة الغالبة الأُمم المغلوبة استشرى الفساد في العربية وكانت المخالطة مدبَّةً اليها فصار الصبيان يسمعون الفصيح والمستهجن واخذت الملكة اللسانية تضعف فيهم وخُشي أَن يُغلق دون أَفهامهم باب القرآن والحديث فعندئذٍ استنبطت العلوم اللغوية وكان العجم هم المشتغلين بتدوينها وتقييدها وتهذيبها وتفريعها دون العرب . ولم تقِف بهم تلك الهمة العالية عند علوم الادب بل سمت بهم الى ما هو اعلى وأَبعد حتى نصبوا علَمَ اللسان العربيّ فوق كل علمٍ استنبطهُ بشرٌ واداروا سورهُ بكل فنٍّ اخترعهُ انسان الى ذلك العهد بحيث أَضحى الناطق بالضاد وما يحتاج في

الوصول الى علمٍ من العلوم الى ان يتكلف تعلُّم لغةٍ أعجمية

واذ علمت ان الفساد قد أصاب اللسان العربيّ قبل استنباط علومهِ التي أركانها اللغة والنحو والبيان والأدب صرتَ تتشوّف الى معرفة القبائل التي اتخذت لغتها قاعدةً يبنى عليها . فاعلم ان هذا الوباء اللغويّ كان عند استنباط النحو وجمع اللغة وتفسيرها قد وقف دون قيس وتميم وأسد ولم يصل الى هُذَيلٍ وبعض كنانة وبعض الطائيين فكانت عربيتهم حين ذلك على سلامتها فعنهم اكثر ما أُخذ ومعظمهُ . وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف . ولم يُؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ولم يؤخذ عن حَضَريّ قطّ ولم يُؤخذ من لخم ولا من جذام لمجاورتهم اهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسَّان وإياد لمجاورتهم اهل الشام ولا من تغلب واليمن فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ولا من عبد القيس وازد عمان لأَنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ولا من اهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز لأَنَّ الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأُوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأُمم وفسدت السنتهم . والذي نقل اللغة واللسان العربيّ عن هؤُلاء وأَثبتها في كتابٍ فصيرها علماً وصناعةً هم أَهل البصرة والكوفة فقط من بين امصار العرب (عن المزهر ببعض حذفٍ)

قلت ومن لا يلتفت الى ان الأُمية كانت يوم ذاك فاشية في العرب بل يقصر النظر على ما في اوضاع هذه اللغة من الشواهد الناطقة بما فُطروا عليهِ من الحذق والادلَّة المصرَّحة بما رزقوهُ من ثقابة الفهم يتولاَّهُ العجب من اقبال العجم على خدمتها واعراض العرب عنها لكن من يعطف نظرهُ الى هذه الحيثية يظهر لهُ السبب فيبطل عندهُ العجب

واما البحث في خصائصها التي اذا قُوبلت اللغات وعُورضت محاسن الواحدة بمحاسن الاخرى فلا أَقلَّ من ان تكون بينها في الطبقة الاولى فمن اشرف المباحث النظرية لكنهُ بحث لا يوفيهِ حقهُ من اقامة الدليل الاَّ مضطلعٌ منها ومن لغات شتى شرقية وغربية او لجنةٌ من العلماء الاذكياء كلٌّ منهم متبحر فيها وفي لغة من اللغات الاعجمية ولا يخفى ما وراء ذلك من سَبْر الطبائع وكشف الغرائز ولو كنت ممن يستطيعهُ خارجاً على مثل ما أَشرت اليهِ لأَقبلت عليهِ لفائدتهِ تلك وان كان ليس من مذهبي في اللغة الاَّ الاشتغال بما يسهل سبيل القلم ويوفر دواعي البلاغة

ذلك ولنرجع الى سرد اسماء أَخصّ اولئك العجم ذوي الهمم القعساء والبصائر المتألقة

الضياء الذين لولاهم لهُدِمت اركان العربية وضاعت اوضاعها وفسدت احكامها وتشوَّه جمالها وترامى الى النقص كمالها مقتصرين على ذكر اعيان اهل النحو واللغة والبيان واما اهل الفقه والتفسير والعلوم العقلية فنعرض عن ذكرهم خوفَ التطويل

المؤلفون في النحو

أخص المؤلفين في النحو بين الاوائل والاواخر واعلاهم كعباً في هذه الصناعة في الغابر والحاضر ومُصَنِّفهُ بحر هذا العلم الزاخر رجلٌ فارسيٌّ يقال لهُ سيبويه نشأ في البصرة وأقام ببغداد وعاش اربعين سنةً . وُلد سنة ١٢١ هجرية وقُبض بقرية من قرى شيرال سنة ١٦١ هجرية

وأبو عليّ الفارسيّ ألف كتباً مختصرة للمتعلمين اقتصَّ فيها اثر سيبويه امام النحاة ومن كتبهِ في النحو (الايضاح والتكملة) ألفهُ لعضد الدولة وهو من معاصري المتنبي وجرت بينهما مجالس ايام اقامتهِ عند سيف الدولة بحلب

وابو اسحق الزجاج صنف في النحو عدَّة مختصرات نهج فيها منهج الامام . وكانت ولادتهُ سنة ٢٣٠ هجرية ووفاتهُ سنة ٣١١ هجرية

والسيرافيُّ وهو مولود في سيراف سنة ٢٨٤ هـ لهُ شرح جيد على كتاب سيبويه

والزمخشريّ مؤلف المفصل والأنموذج في النحو وُلد بزمخشر قريةٍ بخوارزم سنة ٤٦٧ هـ وقُبض بجرجانية خوارزم سنة ٥٣٨ هـ فرثاهُ بعضهم بابيات منها

فأرضُ مكةَ تذري الدمعَ مُقلتُها   حزناً لفرقة جار الله محمودِ

وابن الحاجب وهو ابو عمرٍو عثمان كرديٌّ كان ابوهُ حاجب الامير عزّ الدين الصلاحي توفي في الاسكندرية سنة ٦٤٦ هـ ألف في النحو الكافية وصنف في الصرف الشافية وشرحهما

والرضي الاستراباديّ المتوفى سنة ٦٨٦ هـ شرح الكافية شرحاً مطولاً

اخصُّ المؤلفين في اللغة

الخليل بن احمد الفراهيدي البصريّ الازديّ هذا اول من جمع اللغة في كتاب سماهُ كتاب العين ولد سنة ١٠٠ هـ وتوفي سنة ١٧٤ هـ وهو فيما ارى عجميٌّ في مرباهُ عربيٌّ في نسبهِ وحملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم الاَّ في القليل النادر وان كان منهم العربيُّ في نسبتهِ فهو عجميٌّ في لغتهِ ومرباهُ ومشيختهِ كما جاءَ في مقدمة ابن خلدون . وكتاب العين فُقِد قبل ان تبلَّ بهِ ايدي الافرنج فتحفظهُ من آفات الدهر

والازهريّ المتوفى سنة ٣٧٠ هـ بمدينة هراة هو صاحب التهذيب الذي ادخلهُ ابن

منظور فيما ادخل من المعجمات التي جعلها قوام تأليفهِ الكبير المسمى لسان العرب

والصاحب بن عباد وهو مؤَلف المحيط في اللغة وُلد في اصطخر سنة ٣٢٤ ه وتوفي في الري سنة ٣٨٥ ه ومن صفات محيطهِ انهُ غزير المواد قليل الشواهد

والجوهريّ وهو ابو النصر اسماعيل بن حماد من مدينة فاراب من عشيرة تركية ساح رغبة في العربية وهياماً بمحاسن اوضاعها بين البدو في جزيرة العرب وشافههم ووقف على لغتهم ثم عاد الى وطنهِ ووضع كتاب الصحاح وقال خذوا لغتكم من رجلٍ اعجميّ وكانت وفاتهُ سنة ٣٩٣ ه وقد قيل في صحاحهِ

من قال قد بطلت صحاحُ الجوهري   لمَّا اتى القاموس فهو المفتري
قلتُ اسمهُ القاموس وهو البحر إن   يفخر فمعظمُ فخرهِ بالجوهرِ

وابن فارس بن زكريا الرازي صاحب المجمل في اللغة وُلد سنة ٣٢٩ ه وتوفي سنة ٣٩٠ ه وكان مقيماً بهمذان . وعليهِ اشتغل بديع الزمان

والثعالبيُّ النيسابوري وُلد في نيسابور سنة ٣٥٠ ه وتوفي سنة ٤٢٩ ه ولهُ كتاب فقه اللغة وهو متداول لوقتنا بين طلبة العلم والخاصة من اهل البلاد

والزمخشري وهو من أمهر كتَّاب العربية ولهُ الطبقة العالية بين أئمتها في التحقيق وجودة التأليف واناقة الترصيف وضع في متن اللغة الاساس وهو انفع المعجمات للمنشيء بحيث اكثر فيهِ من الامثلة المبينة لوجوه الاستعمال وقد مرَّ ذكرهُ بين مؤلفي النحو

والفيروزابادي وهو اشهر من ان يعرَّف ولد سنة ٧٣٠ ه في قارسين وهي كازرون قرب شيراز وتوفي سنة ٨٢٠ ه لهُ في اللغة القاموس المحيط والقابوس الوسيط واسم الفيروزابادي في بلاد الشام مرادف لاسم القاموس عند علماء العربية وقد شاع على الالسنة في بلادنا اسم هذا الكتاب حتى صار اسماً لكل معجم من معجمات اللغة يقال هذا قاموس فلان وهذا قاموس فلان وقواميس اللغة كثيرة وممَّا امتاز بهِ هذا الكتاب الضبط بالنص والمثال وهو في تقويم النطق امرٌ جليل ذو بال

المؤلفون في البيان

ابو يعقوب يوسف السكاكي المتوفى بخوارزم سنة ٦٢٦ ه هو الذي مخض زبدة البيان وهذَّب مسائلهُ ورتب ابوابهُ وألَّف كتابهُ المفتاح في النحو والتصريف والبيان فجعل هذا الفنَّ من بعض أجزائهِ

وجلال الدين محمود القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ اختصر جزء البيان من كتاب المفتاح وسمي مختصرهُ تلخيص المفتاح

والتفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢ ﻫ لهُ شرح التلخيص

والسيد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ ﻫ لهُ حواشي على شرح التفتازاني

هذا وتفاديًا من الاطالة نأثر ما قالهُ المؤرخ الفيلسوف والكاتب الموصوف العلاَّمة ابن خلدون الحضرمي في مقدمتهِ المشهورة فقد أجمل هذا المبحث واتى على اطرافهِ مع البيان الكافي والتعليل الوافي قال " فصارت العلوم حضريةً وبعد عنها العرب وعن سوقها والحضر لذلك العهد هم العجم اومن في معناهم من الموالي واهل الحواضر الذين هم يومئذٍ تبعٌ للعجم في الحضارة واحوالها من الصنائع والحرف لانهم اقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس " الى ان يقول " وكذا حملة الحديث الذين حفظوهُ عن اهل الاسلام اكثرهم عجم او مستعجمون باللغة والمربى . وكان علماء اصول الفقه كلهم عجمًا كما يعرف وكذا حملة علم الكلام وكذا اكثر المفسرين ولم يقم بحفظ العلم وتدوينهِ الاَّ الاعاجم وظهر مصداق قولهِ صلى الله عليهِ وسلم لو تعلق العلم باكناف السماء لنالهُ قوم من فارس . واما العرب الذين ادركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا اليها عن البداوة فشغلتهم الرئاسة في الدولة العباسية وما دفعوا اليهِ من القيام بالملك عن القيام بالعلم والنظر فيهِ فانهم كانوا اهل الدولة وحاميتها واولي سياستها مع ما يلحقهم من الانفة عن انتحال العلم حينئذٍ بما صار من جملة الصنائع والرؤساء ابدًا يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجرُّ اليها ودفعوا ذلك الى من قام بهِ من العجم والمولدين " الى ان يقول " واما العلوم العقلية ايضًا فلم تظهر في الملة الاَّ بعد ان تميز حملة العلم ومؤلفوهُ واستقرَّ العلم كلهُ صناعةً فاختصت بالعجم وتركتها العرب وانصرفوا عن انتحالها فلم يحملها الاَّ المعربون من العجم شأن الصنائع كما قلناهُ اولاً فلم يزل ذلك في الامصار ما دامت الحضارة في العجم. وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر . ولما خربت تلك الامصار وذهبت منها الحضارة التي هي سرُّ الله في حصول العلم والصنائع ذهب العلم من العجم جملةً لما شملهم من البداوة واختصَّ العلم بالامصار الموفورة الحضارة ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أُمّ العالم وايوان الاسلام وينبوع العلم والصنائع . وبقي بعض الحضارة فيما وراء النهر لما هناك من الحضارة بالدولة التي فيها . فلهم بذلك حصةٌ من العلوم والصنائع لا تُنكر وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم في تآليف وصلت الينا الى هذه البلاد وهو سعد الدين التفتازاني . واما غيرهُ من العجم فلم نرَ لهم من بعد الإمام ابن الخطيب ونصير الدين الطوسي كلامًا يعوَّل على نهايتهِ في الإصابة "

قلت ليت شعري ما كان يقول هذا المؤرخ الفيلسوف في مصر لو قدمها في مثل هذا العهد وفيها المطابع التي اخصُّها مطبعة بولاق الشهيرة مطلع انوار العلوم اللسانيَّة والشرعيَّة والتاريخيَّة والرياضية والطبية وقد بلغ ما طُبع فيها من نفائس المصنَّفات العربية مائةً وستين مصنفًا وبلغ ما طبع في سائر مطابع القاهرة من تلك الكتب القديمة مائتين وواحدًا وعشرين كتابًا على ان بعض ما طُبع في بولاق قد تكرَّر طبعهُ في بعض مطابع القاهرة وذلك من لدن أُنشئت تلك المطابع الى سنة ١٨٩٧ م

بل ليت شعري الى ايّما حدٍّ كان يبلغ في تقريظها لو وطىء أرضها اليوم ورأى ما حدث فيها من المدارس ولا سيما المدرسة الطبية المعروفة بمدرسة القصر العيني التي أحيت الطبَّ والحساب والجبر والهندسة والمساحة وعلم النبات والصيدليَّة وعلم الفلك وملأَ اساتذتها الارض كتبًا في تلك العلوم الجزيلة الفوائد الملازمة لاتساع العمران وانبساط الحضارة ثم رأى ما يُنشَر فيها من الجرائد الموزَّعة الجوائب في الارجاء والمجلاَّت العلمية المرسلة من سواد سطورها الضياء وماذا كان يقول في بعض الجرائد والمجلاَّت التي بلغت من تحرّي الصواب والحرص على صحة الآداب وتوفير الفوائد وتخيُّر المباحث ما جعل اقوالها كالاحكام المبرمة متانةً والانهار المتدفقة فائدةً

الفصل الثاني

في خدمة الافرنج للعربية

قد تقدَّم لنا كلام مجملٌ في هذا الشأن وقبل ان نأتي بتفصيلهِ يقضي علينا اشباع البيان ان نذكر داعية هذه الخدمة فنقول

ما ضربت الحضارة اطنابها في أمةٍ الاَّ سمت هِمم علمائها الى الوقوف على ما عند سائر الأُمم من العلوم والصنائع واشتدَّت رغبتهم في كشف الغطاء عن تواريخهم واستطلاع احوالهم في مبادئهم ومصابرهم وتقلُّب الدهر عليهم عابسًا وضاحكًا ولو كانت آجال مجدهم قد انقضت بل ولو كانوا هم قد انقرضوا وبادوا واصبحوا وليس لهم من الوجود الاَّ قدر ما أبقت لهم أقلام المؤرخين من الذكر اذ لا يخفى على عاقلٍ ما غبَّ ذلك الاطلاع من الفوائد التي ترخص في جنبها قلائد الدرّ والياقوت . وما ينقع للراغبين غليلاً ولا يبرّد لهم شوقًا كمعرفة لغات تلك الأُمم وقراءة كتبهم، وهذا هو الذي بعث الافرنج للاقبال على العربية والتجوُّل في الآفاق لجمع كتبها وطبعها وبذل الكلف الطائلة في اظهار تلك الكنوز المدفونة وهنا اذكر لك بعض ما طبعوا من كتب النحو واللغة ودواوين الشعر وكتب الدين والفقه والطبّ والجبر

والهندسة والجغرافية لتعلم ان تلك التآليف التي قضت الايام على الشرقيين ان يحرموا الانتفاع بها مع انها من ثمرات رياضهم وغلاَّت ضياعهم وقد حُفظت في لغتهم حفظ الدرّ في صدفهِ قد بعث الله لها من يقيها الهلاك وينشرها في الآفاق فلو انها وابيك من ذوات الحسّ والنطق لذاقت لذَّة اطلاق السبيل بعد الحبس الطويل بل لذاقت حلاوة النجاة بعد مشارفة البوار

مطبوعات نحوية

من مطبوعات النحو كتاب سيبويهِ طبعهُ في باريز سنة ١٨٨٩ م الفاضل درانبورغ وبذل ما في طوقهِ في معارضة هذه النسخة بخمس نسخ مخطوطة واحدة في فيانَّا وواحدة في بطرسبورج وواحدة في باريز وواحدة في اكسفورد وواحدة في الاسكوريال باسبانيا فجاءَت الطبعة على ما يرام من الاتقان والضبط ونظافة الطبع حتى كانما راعى في ذلك كلهِ قدر الكتاب والمدينة التي طبع فيها ومقام طابعهِ. وقد طبعت الكتاب ايضاً جريدة الجمعية الشرقية الالمانية

والمفصل للزمخشري في صناعة الاعراب طبعهُ في كريستيانا سنة ١٨٥٩ وسنة ١٨٨٩م الفاضل بروخ والانموذج في النحو للزمخشري طُبع في كريستيانا سنة ١٨٥٩ م

وشرح ابن يعيش الحلبيّ المعروف بابن الصائغ على مفصل الزمخشري طبعهُ في ليبسك سنة ١٨٨٦ م الفاضل ياهل ولم يألُ جهداً في تطبيقهِ على الاصل . وتوفيّ ابن يعيش هذا سنة ٦٤٣ ه وألفية ابن مالك المتوفَّى في دمشق سنة ٦٧٢ ه المولود في جيَّان الحرير من اعمال الأندلس سنة ٦٠٠ ه طبعها في باريز الفاضل سلفستر دي ساسي سنة ١٨٣٣م الى كتب أُخرى كثيرة نضرب عن ذكرها اختصاراً

مطبوعات لغوية

من مطبوعات كتب اللغة مثلَّثات قطرب المتوفى سنة ٢٠٩ ه طبعها في ماربورغ الفاضل فلمار وكتاب الفروق للاصمعيّ المتوفى سنة ٢١٦ ه طبع في قاعدة مملكة النمسا فيانَّا سنة ١٨٧٦ م وضمَّ اليهِ فهرس على ترتيب حروف المعجم

وكتاب الأضداد لأبي بكر محمد بن الأنباري المتوفى ببغداد سنة ٣٢٨ ه طُبع في ليدن سنة ١٨٨١ م

مطبوعات من دواوين الشعر العربي

من الكتب الشعرية المطبوعة في بلاد الافرنج شرح الحماسة مع فهرست على ترتيب حروف الهجاء للاعلام وسائر الألفاظ طبعهُ الفاضل فريتغ صاحب المعجم العربي اللاتيني المشهور في مدينة بون مرتين سنة ١٨٤٧ و ١٨٥١ م

والمعلَّقات السبع . طبعها في ليبك الفاضل ارنولد سنة ١٨٥٠ م وافرغ كنانة الجهد في تطبيقها على الاصل ثم طبعها الفاضل آبل في برلين سنة ١٨٩١ م

وديوان لبيد . طُبع في مدينة فيانًا سنة ١٨٨٠ م . وطُبعت معلَّقتهُ مع شرح الزوزنيّ في مدينة برسلاو سنة ١٨٢٨ م

وديوان عنترة . طبعهُ الفاضل آهلوارت في لندن سنة ١٨٧٠ م

ومعلَّقتهُ ، طُبعت في ليدن مع شرح الزوزني لها سنة ١٨١٦ م

وديوان طرفة ابن العبد. طبع سنة ١٨٦٩ في مدينة غريفا سوالد

ومعلَّقتهُ . طُبعت سنة ١٨٢٩ م في مدينة بون مع شرح عليها للزوزنيّ

وديوان زُهَير. طبع في ليدن سنة ١٨٨٩ . ومعلَّقتهُ وهذه طُبعت سنة ١٧٩٢ في ليبسك مذيلة بشروح وضمَّ اليها ترجمتها باللاتينية

وديوان امرىء القيس طُبع سنة ١٨٣٧ م في مدينة باريس مشروحًا وملحقةً بهِ ترجمتهُ بالفرنسوية

وديوان النابغة الذبياني طبعهُ في باريز سنة ١٨٦٩ م الفاضل درانبورغ ومعلَّقة عمرو بن كلثوم طبعها في مدينة يانا سنة ١٨١٩ م الفاضل كوزغارتن

ومنها ديوان الشعراء الهَذَليين وقد طبعهُ سنة ١٨٥٤ الفاضل كورغارتن في مدينة لندن

وديوان عروة بن الورد وقد طبعهُ سنة ١٨٦٣ الفاضل نولدكي في مدينة غوتنغن

الى دواوين وقصائد مشهورة وفي اطايب الشعر معدودة نعرض عن ذكرها اختصارًا

مطبوعات دينية وفقهية

من هذه المطبوعات القرآن فقد طبع طبعات كثيرة اولها في هامبورغ سنة ١٦٤٩ م وطُبع في ليسبك ثلاث مرَّات ما بين سنة ١٨٣٤ وسنة ١٨٧٠ م وقد ضُمَّ اليهِ فهرست مرتب على حروف المعجم يُقال لهُ نجوم الفرقان

والكشَّاف عن حقائق التنزيل للزمخشري طبعهُ الفاضل لي الانكليزي في كلكته سنة ١٢٨١ ه قبل ان يُطبع في بولاق بخمس سنين

وانوار التنزيل واسرار التأويل للبيضاويّ طبعهُ الفاضل فليشر الألماني في ليبسك سنة ١٨٤٨ م وقد خدم هذا التفسير بفهارس مستوفية تجعل فوائدهُ للمطالع على طرف التمام الفاضل فل الالماني وطبعها في ليبسك

والمختصر في الفقه لأَبي الضياء خليل بن اسحق المالكي المتوفى سنة ٧٦٧ هـ . طبع في باريز اربع طبعات افضلهنَّ الاخيرة

وكتاب المنقذ في التوحيد للغزالي طبعهُ في باريز الفاضل شمولدرس سنة ١٨٤٢ م

والأَحكام السلطانية والولايات الدينية . طبع في بون سنة ١٨٥٣ م

مطبوعات من كتب الطب والجبر والهندسة والجغرافية والفلاحة

من تلك المطبوعات القانون لابن سينا طُبع مع كتاب النجاة لهُ في رومة سنة ١٥٩٣ وتذكرة الكحالين وهو مختصرٌ في علاج امراض العين . طُبع سنة ١٨٤٥ في مدينة درسدن على يد الفاضل هل . وطبعَت معهُ ترجمتهُ باللاتينية

وكتاب الفلاحة لابن العوَّام الاندلسيّ الاشبيلي من اهل المائة السادسة للهجرة طبعهُ في مادريد سنة ١٨٠٢ م الفاضل بنكويري

وكتاب في الجبر لأَبي عبد الله محمد بن موسى بن شاكر طبعهُ في لندن سنة ١٨٣١ الفاضل روزن . وكتابٌ آخر في الجبر لعمر بن ابرهيم الحيَّالي النَيْسابوري طبعهُ في باريز سنة ١٨٥١ م الفاضل ووبكه

وتحرير اصول اقليدس . وهو تعريب هندسة اقليدس لنصير الدين الطوسيّ المتوفى ببغداد سنة ٦٧٢ هـ طُبع في رومة سنة ١٥٩٤ م وطبع في لندن سنة ١٦٥٧ م

والمسالك والممالك لابن خردازبه المتوفَّى سنة ٣٠٠ هـ طُبع في ليدن سنة ١٨٨٩ في المجموعة المسماة الجغرافيَّة العربية

ومعجم البلدان لياقوت الرومي الجنس الحموي المولد البغدادي الدار المتوفى سنة ٦٢٧ م على مقربة من حلب اعظم كتاب في الجغرافية عند العرب طبعهُ الفاضل ووستنفلد الألماني سنة ١٨٧٣ في ليبسك

والمشترك وضعًا والمفترق صقعًا لياقوت ايضًا طبعهُ الفاضل ووستنفلد المشار اليهِ في مدينة غوتنغن

والمسالك والممالك والمفاوز والمهالك لابن حوقل الرحَّالة الشهير طُبعت منهُ عدَّة أجزاء في ليدن وبُون سنة ١٨٧١ م

وأَحسن التقاسيم في معرفة الأَقاليم للمقدسي طُبع في ليدن في جملة المجموعة المسماة المكتبة الجغرافية

وعجائب الهند للبيروني الخوارزمي الحكيم المشهور المتوفَّى سنة ١٣٠٨ م طبعهُ الفاضل ساخاو الألماني في لندن سنة ١٨٨٨ م

وكتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري طُبع في ليدن سنة ١٨٥٦ م

وكتاب الشريف الادرسي في وصف افريقية واسبانيا طبعهُ الفاضل دوزي ودي جويه في ليدن مع ترجمة فرنسوية وشروح سنة ١٨٦٦ . الى غير ذلك من الكتب النفيسة مما لا يسمح الغرض من هذه المقالة باثبات اسمائها فنجتزىء عنهُ بذكر اسماء المدن الاعجمية وعدد ما طبع فيها من الاسفار العربية العتيقة الى تاريخ سنة ١٨٩٧ بقدر ما وصل اليهِ استقصاؤنا كما ترى في هذا الجدول

اسم المدينة	عدد المطبوع	اسم المدينة	عدد المطبوع	اسم المدينة	عدد المطبوع
أبسالا	٣	جوجنفيا	١	كنفور	١٠
استراسبورج	٢	جوثا	٣	كوبنهاغن	٥
ادنبرغ	١	الجزائر	٤	لكناهور	١٧
أكسفرد	١٣	درسدن	٣	ليسبون	١
امستردام	١	دلهي	١١	ليبسك	٥١
أوترخت	١	رومة	٧	ليدن	٧٥
باسل	٣	طهران	٦	لاهور	٢
باريز	٤٨	غرايغوالد	٤	لوديانج	١
برلين	١١	غوتنغن	٦	لندن	١٤
بادوا	١	فرانكفورت	١	مادريد	٤
برسلاو	٤	فرايبورغ	١	مونيخ	٣
بطرسبورج	٦	فلورنسا	٣	ميلان	١
بمباي	١٨	فيانا	١٢	ماربورغ	١
بنافيا	١	قازان	٢٢	مرسيليا	١
بهوپال	٢	قسطنطينية	٨٩	نورمبورج	١
بون	١٦	كامبردج	١	هلي	٤
البندقية	٩	كريستيانا	١	هايدلبرغ	١
بيزا	١	كونفز بورج	١	دايمار	١
تبريز	٣	كاستان كشمير	١	يانا	٢
تونس	٥	كلكته	٥٨	ومجموع ذلك ٥٧٨ كتاباً	

قلت من يرى تلك الكتب العربية مطبوعة في رومة وباريز وليدن ولندن وليبسك وبرلين وجوتا وكوبنهاغن وغوتنغن وغيرها مما اثبتناه في هذا الجدول فيكون مثلهُ مثَل من يرى السمك يعيش في القفر . او الطير تطير تحت لجج البحر او مثل من ينظر الضرير يهدي البصير اذ يُخيَّل اليهِ ان البصرة والكوفة قد ظهرتا في هذا العصر باسم هولاندا والمانيا وان ابن عقيل وابن مالك وابن هشام قد عادوا الى الدنيا باسم سلفستر دي ساسي الفرنسوي وفليشر وفريتغ فيكاد يُدخل عليهِ ولا يزال في بيداء تحيرهِ حتى يتراءى لهُ من التاريخ بنادٍ يقول لهُ أَفق واسمع يرتفع عن بصيرتك برقع الجهل واعلم أَن الأُمم التي نفقت اسواق العلم عندها واستبحر العمران فيها تمتلئُ حياةً ونوراً فتجلُّ آثار العلم وتتطلَّبها في كل لغةٍ وتنشدها عند كل أُمةٍ . والاَّ فاين ما عانتهُ اوربا وانفقتهُ في سبيل العربية مما قاستهُ وتكلفتهُ في حلّ الكتابات المسمارية والخطوط الهيروغليفية واعادتها الى الحياة بعد موتها

الخاتمة

قد عرفتَ مما ذكرت لك ان العربية قد ضربت خيامها في الممالك الاوربية ونُصبت لاساتذتها المنابر في المدارس الكلية وسُبك لها حروف في المطابع العظيمة البهية وسخا أَنصارها الافرنج على نشر ما كان مخبوءًا في الخزائن من النفائس التي جعلها حِوَل الدهر كالرهائن فلو انتصب العدل يوزّع الجوائز على من خدموا العربية لأَصاب العجم جائزة الايجاد والافرنج جائزة الحراسة والحفظ

هذا ولا يذهب على عاقلٍ مهما ضعفت بصيرتهُ ان شجرة اللغة لا تستوفي حظها من الاخضرار والايراق وبسوق الافنان وتفتح الازهار واستواء الاثمار ولا يجتمع لها رونق الحياة والنضارة مالم تكن لغة المخاطبة والمكاتبة في الشؤُون الانسانية ولغة العلوم البشرية قاطبةً تلقيناً وتدويناً . والاَّ فان الاقتصار على تعلم اصول النحو والبيان وطبع الكتب القديمة كما هو دأب علماء المشرقيَّات من الافرنج لهذا الوقت جزاهم الله خيراً واقتصار المدارس في الديار السورية وغيرها من البلاد العربية اللغة على تعليم النحو والبيان والعروض ومطالعة بعض كتب الأَدب من نظم ونثرٍ مع كثرة نفعهِ لأَقلُّ من ان يكون الغذاء الذي تنمو عليهِ وتبسق أَغصانها بهِ وتكثر ثمارها . فلو تمثَّلت اللغة فتاةً ما صبرت عن أَن تطلب طعاماً يشبعها من جوعٍ . ويحفظها من شحوب ولا أَغفلت المطالبة بأَن تكون لغة العلوم الرياضية والطبية والفلسفية كما هي الفرنسوية عند الفرنسويين والانكليزية عند الانكليز ولعاتبت الكلية الانجيلية البيروتية على الاعراض بعد الاقبال والهجر بعد الوصال فقد كانت لغة الطبّ فيها الى سنة ١٨٨٤ ولقالت لذويها

ما عهدت المرسلين الاَّ ذوي برٍّ بي وحفاوةٍ أَلا وهم الذين انشأُوا لخدمتي سنة ١٨٣٤م مطبعة موفورة الآلات متينة الأَدوات ناصعة المطبوعات واستعملوني في العلوم الرياضية في مدارسهم كافةً وأَذاعوا كتبًا في تلك العلوم لابسةً حلتي الجميلة البهية فعلى مَ قاطعوني وقد عاودتني مسحةٌ من نضارتي ولقالت ليتني اكون عند هذه الكلية العامرة كالنقاوي عند القائل

لم يرُقْ لي منزلٌ بعدَ النقا لا ولا مستحسَنٌ من بعد ميّ

وما احسبها كانت تعفي الطبية الفرنسوية البيروتية من معاتبة تسلّط على قلبها ما يأْخذ المعاتب وقد غلبتهُ الحجة . واما الكليتان فتتلقيان ذلك العتاب باعتذارٍ لا إخالهُ يضعف الحكم عليهما بجفائها او يصرفهما عن أَن تنشدهما

تمرُّونَ الديارَ ولم تعوجوا كلامكمُ عليَّ اذن حرامُ

فاذا لاحظتَ ذلك كلهُ علمت ان انجع ما تغتذي بهِ العربية اليوم انما هو المجلاَّت الجوَّالة والصحف السيَّارة وذلك انها تستعمل اللغة في كل مطلب ومبحث وقد شعر كلٌّ من المصريين والسوريين والعراقيين وغيرهم ان الجرائد العربية قد بثّت اللغة الفصيحة في كل طرفٍ من الأَطراف وعلَّمت العامة كثيرًا من فوائد العربية مما لم يكن يعرفهُ الاَّ الخاصة وفتحت باب الكتابة انشاءً وترجمةً وردَّت الى اللسان العربيّ من قديم رونقهِ فكلٌّ منها حريٌّ بأَن ينال من الثناء ما هو كفاءُ خدمتهِ وجزاءُ فائدتهِ

فيا ايها الناطقون بالضاد كرّموا الجرائد والمجلاَّت وعظّموها بالاقبال عليها فهي اعظم الاركان في حياة لسانكم وحياة الانشاء بينكم فلم يبقَ لاعتزاز العربية ونضارتها سندٌ اقوى منها فهي بغزارة موادّها ووفارة أَبحاثها وتعدُّد مطالبها وتشعب ابوابها تعزّز العلم واللغة معًا بما تبثُّ من الأَنوار العلمية وتذيع من الكلمات العرفية مما لا سبيل الى الوصول اليهِ بدونها

* * *

اوهام الخواص

تمهيد

قد يظن قارئُ هذا العنوان اننا نقصد مجاراة الحريري في البحث عن اوهام الخاصة من حيث اللغة والانشاءِ . وهذا ليس من غرضنا في شيءٍ وانما غرضنا البحث عن بعض الاوهام التي وجدناها متسلطة على عقول بعض الخاصَّة في عاصمة العلم والعمران في مدينة باريس التي نشأَ منها مثل ده كارت وبسكال وكونت وڤولتر ولاڤوازيه وباستور. نعم ان الذين لقيناهم

وحادثناهم في مثل هذه المواضيع اكثرهم من غير الفرنسويين ولكنهم مقيمون في فرنسا وهم من شعوب مرتقية مثل الشعب الفرنسوي ان لم تكن ارقى منهُ . والامور التي رأيناهم يعتقدونها هي التناسخ والوهية المعبودات القديمة وصحة الاحلام والطب الروحاني ومناجاة الارواح . وهاك بعض ما سمعناهُ منهم وما دار بيننا وبينهم من الحديث في كل هذه المواضيع

(١) التناسخ — هذا ابعد ما كنا ننتظر ان احدًا من خواص الاوربيين يعتقدهُ لكننا لقينا غير واحد منهم يعتقد التناسخ ويدَّعي انهُ يتذكر الحالة التي كان فيها منذ الوف من السنين قالت لنا سيدة مشهورة بالعلم والفضل والجمال انها تتذكر الحالة التي كانت فيها منذ نحو ثلاثة آلاف سنة لمَّا كانت كاهنة في مصر على عهد الفراعنة. وقوي اعتقاد هذه الجماعة بامر غريب حدث في اجتماع مؤتمر المباحث النفسية . ذلك ان الاستاذ شارل ريشه الشهير عرض في هذا المؤتمر طفلاً اسبانيًّا عمرهُ ثلاث سنوات ونصف سنة لا غير اسمهُ بيبتو وُدْريغوس اريولا لا يزال يلبس لبس البنات لصغر سنهِ حتى ظنهُ كثيرون بنتًا وهو مع ذلك يلعب على البيانو مثل كبار الموسيقيين ويؤلف الانغام الموسيقية ويوقّع الانغام الجديدة التي يسمعها ويتصرف فيها

لما كان عمر هذا الطفل سنتين ونصف سنة مارست امهُ ذات يوم قطعةً من الموسيقى القديمة (الكلاسيك) على البيانو ثم اغلقتهُ وخرجت الى غرفة أُخرى لبعض امرها فسمعت واحدًا يلعب على البيانو القطعة التي كانت تمارسها فاسرعت اليهِ فوجدت طفلها هذا جالسًا امامهُ يلعب عليهِ تلك القطعة من غير كتاب يلعبها بيدهِ اليمنى ويرفقها باليسرى . ومن ثمَّ عكف هذا الطفل على ذلك البيانو من غير معلم فبرع في اللعب عليهِ براعةً تذهل العقول

وقد جلس امام هذا البيانو عينهِ في مؤتمر العلوم النفسية في محفل حافل بكثيرين من اشهر علماء الارض واكبر موسيقييها ولعب امامهم ادوارًا كثيرة معروفة وادوارًا أُخرى مما الفهُ ارتجالاً وكفاهُ صغيرتان فلا تصل اصابعهُ الى اكثر من خمسة مفاتيح لكنهُ كان ينقلها بسرعة فائقة حتى تصل الى مفاتيح السلم كلها وكان لعبهُ غاية في الصحة والدقة وحركاتهُ مطابقةً للعبهِ كأن الانغام الموسيقية خارجة من اعماق نفسهِ وهو لا يكتفي بلعب الانغام التي سمعها او مارسها او نظمها بل اذا سمع نغمًا جديدًا لعبهُ ايضًا ونوَّعهُ وقت ايقاعهِ وحسَّنهُ كثيرًا . واذا ارتجل صوتًا جديدًا ضمنهُ من الانغام ما يحرّك الشجون ويأخذ بمجامع القلوب كانهُ سلك مسالك العشاق وذاق تباريح الوجد والفراق او كانهُ حَلَب اشطر الدهر وذاق ما فيهِ من الخل والخمر. وقد اخترع اسلوبًا (تكنيك) خاصًّا بهِ لم يجد فيهِ امهر علماء التوقيع الاَّ مواقع قليلة للانتقاد

وكان اذا اتمَّ اللعب يشارك الجمهور في تصفيقهِ لهُ ويضحك ويقهقه ويمدُّ لسانهُ كما يفعل الاطفال عادةً . فهو طفل في كل شيءٍ الاَّ في الموسيقى ولا يستطيع اللعب الاَّ على البيانو الذي لعب عليهِ اول مرة . وهو قديم لم يُدَوْزَن منذ زمن طويل ولم يستطع احد ان يدوزنهُ ولكنهُ يلعب عليهِ اجود لعب ولا يستطيع ان يلعب على غيرهِ

هذا الطفل قوَّى حجة اصحاب التناسخ كما تقدَّم فقالوا ان نفسهُ نفس موسيقي ماهر تَقَمَّصت فيهِ ولا يفسَّر اتقانهُ للموسيقى على صغر سنهِ بغير ذلك . وفاتهم ان نفس ذلك الموسيقي الماهر اكتسبت امورًا أُخرى غير البراعة في الموسيقى فلماذا تركتها كلها وابقت على الموسيقى وحدها . فهذا التفسير يخلصهم من مشكل ويوقعهم في ما هو اشدُّ اشكالاً منهُ

ولا ينكر ان امر هذا الطفل غريب جدًّا لا يفسر بحقائق العلم المعروفة كما قال الاستاذ ريشه ولكن قد يمكن تفسيرهُ بالوراثة من امهِ او احد اسلافهِ فان للموسيقى مركزًا خاصًّا في الدماغ ينمو ويرتقي بالممارسة ولا يَبعد ان يكون هذا المركز قد وُلد فيهِ ناميًا مرتقيًا من اصلهِ كما يولد بعض الاطفال وفي افواههم اسنان ظاهرة او تظهر اسنانهم وهم في الشهر الثالث او الرابع. واذا صحَّ ما نقلناهُ غير مرة وهو ان المرأة اذا اهتمت بموضوع ما وهي حامل فقد يولد طفلها شديد الميل الى ذلك الموضوع كأَن دمها الذي يغذي المركز الدماغي المتعلق بهِ وينميهِ يغذي ما يقابلهُ في دماغ الطفل وينميهِ ايضًا ساعد ذلك على هذا التفسير ولكنهُ لا يكون قاطعًا لان هذا الطفل وحيد في بابهِ

وغاية ما يقال في هذا الموضوع وامثالهِ ان انتظار المكتشفات العلمية التي تفسرهُ خير من تمحُّل تفسير لم يقم دليل علمي على صحتهِ

وكان في المؤتمر عالِم هندي فاطنَب في الكلام على التناسخ لما رأَى هذا الطفل وافعالهُ. وهو معذور لانهُ أَلفَ هذا المعتقد منذ نعومة اظفارهِ اما الاوربيون والاميركيون فلا ندري كيف يبنون معتقدًا كبيرًا على اساس واهن مثل هذا . ومن غريب امرهم انك تجد اخوين منهم على طرفي نقيض الواحد يعتقد بالتناسخ والآخر يعتقد بالفناء ويقول مع ابي العلاءِ

تحطمنا الايامُ حتى كأَننا زجاجٌ ولكن لا يعادُ لهُ سَبْكُ

(٢) الوهيَّة المعبودات القديمة — قرأْنا ونحن في مصر ان الكونت ماكريجور الاسكتلندي الاصل اعاد عبادة ايسس الهة المصريين القدماء وبنى لها هيكلاً في مدينة باريس. وقد زارنا هو والكونتس زوجتهُ وزرناهما فوجدناهما على غاية الرقة والظرف وسأَلانا عما ذكرهُ اللورد بيكنسفيلد في رواية تنكرد عن التدبيرية وعبادتهم لآلهة اليونانيين القدماء فاخبرناهم اننا زرنا

بلادهم ولم نرَ فيها شيئًا يدلُّ على صحة ما ذكرهُ اللورد بيكنسفيلد . والراسخ في ذهننا انهُ اخترعهُ اختراعًا فابدع فيهِ ثم ارياناغرفة في منزلهما وضعا فيها تمثالاً لايسس داخل محراب واوقدا امامهُ مصباحًا صغيرًا وهما يحتفلان بعبادتها فيلبس الكونت لبس كاهن مصري ويضع جلد النمر على ظهرهِ وتلبس زوجتهُ لبس كاهنة مصرية ويلتفُّ حولهما بعض المعتقدين اعتقادهما

ويذكر الذين سمعوا رواية عايدة تمثَّل في الاوبرا الخديوية ان العذارى الكاهنات اذا قمنَ للعبادة والرقص والانشاد تمثل للمرءِ انهُ في هيكل ديني يعبد من فيهِ معبودهم على غاية الوقار والورع وعاد بهِ ائتلاف الافكار الى تلك العصور المتوالية التي سادت فيها الديانة المصرية القديمة على اخلاق اهلها وآدابهم فأبلغتهم اعلى مدارج العمران وطبعت في نفوسهم اسمى الآداب واكملها كما يظهر من اجوبة النفس المسطورة في كتاب الاموات لكن الرجوع الى عبادة الله بالتماثيل من اغرب ما كنا ننتظرهُ من خاصة الاوربيين واغرب منهُ حسبانهم المعبود اثنين ذكرًا يعبد باسم اوسيرس وانثى باسم ايسس ولله في خلقهِ شؤُون

(٣) صحَّة الاحلام — الاعتقاد بصحَّة الاحلام قديم جدًّا والذين يعتقدون صحتها يعبِّرونها على اساليب شتَّى لا ضابط لها فاذا حدث ما يطابق تعبيرهم ولو قليلاً حفظوهُ ونسوا كل ما سواهُ طبَّقوا الحلم على ما حدث فحذفوا منهُ وزادوا عليهِ ما تقوى بهِ المطابقة . وقد كنا نظن ان اهل العلم والعرفان الذين درسوا العلوم الطبيعية وعرفوا ان الاحلام لا تفرق من الخواطر التي تخطر على بال الانسان في اليقظة الاَّ في كونها اضغاثًا غير منظَّمة وما يصدق عنها لا يخرج عن حد النتائج العقلية التي يستنتجها المرءُ في يقظتهِ والافكار التي يفكِّر فيها وهو يقظان او هاجس بين النوم واليقظة بل هذه اقرب الى الحقيقة من كل الاحلام — كنا نظن ان هؤُلاءِ لا يلتفتون الى الاحلام ولا يثقون بشيءٍ مما تشير اليهِ حتى لقينا بعضهم في اثناء سياحتنا في الشهر الماضي ومنهم كاتب شهير يحسب ان ارلندا ستستقلُّ قريبًا طبقًا لحلم تمَّ بعضهُ وسيتمُّ البعض الآخر . والظاهر ان هذا الحلم مشهور عند المهتمين باستقلال ارلندا حتى قالت لنا سيدة منهم ان الزوبعة التي حدثت حديثًا في اميركا وخرَّبت مدينة جالفستون يُشار اليها في هذا الحلم . ولما قلنا لها ان الزوابع تحدث كل عام في اميركا وبعضها اشد فتكًا واوسع نطاقًا من هذه الزوبعة اسفت لاننا لا نصدِّق ما صدقهُ ظاهر وحجتهُ قاطعة

واذا سألتَ مصدقي الاحلام لماذا يكاشَف بعض الناس بما لا طائل تحتهُ من حوادث المستقبل ولا يكاشفون بالامور الهامَّة العامة مثل حدوث الحروب والاوبئة والمجاعات حتى يتّقوها ويأمنوا غوائلها . لماذا لم يكاشف احد من الفرنسويين بان حربهم مع المانيا تُفقدهم الالزاس

واللورين ولماذا لم يكاشف احد من الاسبانيين بان حربهم مع الولايات المتحدة تُفقدهم اسطولهم ومستعمراتهم كلها. ولماذا لم يكاشف احد من الانكليز بان البوير مستعدون لهذه الحرب اكثر منهم . ولماذا لم يكاشف البوير بان حربهم مع انكلترا تنزع استقلالهم. ولماذا لم يكاشف احد من قديم الزمان الى الآن بعلاج يشفي من الطاعون والهواء الاصفر والسل. ولماذا لا يكاشف احد بما سيحدث من الزوابع والعواصف والانواء التي تخرب البلدان وتكسر السفن وتهلك الالوف اجابوك عن ذلك ان الارواح التي تسبب الاحلام غير خاضعة لارادتنا ولا لارادة مخلوق فتنفعل ما تشاء من غير حساب . هذا ولا ندري كيف تسلِّم عقولهم بوجود ارواح عاقلة متسلطة على عقول الناس تهتمُّ بإخبار واحد من الف عما يحدث لكلب في دارهِ ولا تهتم باخبارهِ عن باقي ما يحدث لهُ مدى عمرهِ ولا عما يحدث لالوف والوف الوف من الناس ولكن

سبحان من قسمَ العقولَ   فلا عتابَ ولا ملامهْ

(٤) الطب الروحاني — ذكرنا في الجزء الماضي من المقتطف ان في مدارس الطب الروحاني باميركا من التلامذة اكثر مما في مدارس الطب القانوني وان اطباء الطب الروحاني يعالجون المرضى بالصلاة او بالتدجيل على صور شتّى فيشفون كل الامراض التي تشفى من نفسها من غير علاج واما الامراض التي لا تشفى من غير علاج فتسير سيرها الى ان تقتل اصحابها. ومتى اختلط الجهل بالدعوى والحمق بالتعصب نتج من خليطها نوع من الجنون المستعصي لا اشدَّ منهُ ضررًا بنوع الانسان. ولم يخطر لنا لما كتبنا تلك السطور اننا نلقى بعض المعتقدين صحة الطب الروحاني في عاصمة البلاد الفرنسوية قبلما يمضي شهر على كتابتها . قالت لنا سيدة راسخة في هذا الاعتقاد انها تعرف مسلولاً قطع الاطباء الامل من شفائهِ ثم شفي بالطب الروحاني فقلنا لها ونحن نعرف مسلولاً آخر كان في الدرجة الثالثة وقطع الاطباء الامل من شفائهِ وانذرهُ المرحوم الدكتور ڤان ديك بالموت القريب وذلك منذ نحو ثلاثين سنة لكن رئتهُ تكلست وشفي ولم يزل حيًّا يرزق ولذلك نرجح ان المسلول الذي تشيرين اليهِ شفي من غير علاج كما شفي هذا واذا استنبط احد طريقة جديدة لعلاج مرض من الامراض لا يُحكَم بصحتها وتفضيلها على غيرها الاَّ اذا امتحنت مرارًا كثيرة فوُجد انها تشفي اكثر من غيرها من الطرق لنفرض ان خير الطرق المعروفة لعلاج الطاعون يشفى بها ستون في المئة من المطعونين ويموت اربعون فاذا اكتشفت طريقة جديدة روحية كانت او مادية يشفى بها سبعون في المئة من المطعونين ويموت ثلاثون فقط فهي خير من غيرها من الطرق المعروفة على شرط ان يثبت فعلها في مئات من المطعونين . ولكن اذا كان ثلاثون في المئة من المطعونين يشفون من غير

علاج فكل الوسائل التي يشفى بها ثلاثون في المئة او اقل هي كالعدم لا تفيد شيئاً . ومعلوم ان الامراض لا تميت كلها فاذا تُركت من غير علاج مطلقاً او اذا استعملت فيها الراحة والحمية والنظافة فالغالب ان كثيراً منها يشفى من نفسهِ فان كان اهل المريض قد استشاروا طبيباً من الاطباء الروحانيين توهموا ان الشفاء من علاجهِ وهو ليس كذلك . ولا تثبت فائدة الطب الروحاني الاَّ اذا قام اناس من العلماء الاكفاء ورأَوا جمهوراً من المرضى وشخَّصوا امراضهم جيداً ثم ترقبوا فعل الطب الروحاني بهم فوجدوهُ مفيداً لهم . ويحدث احياناً كثيرة ان يكون المرض وهمياً فيزول بالوهم ايضاً وهنا يكون مجال الطب الروحاني واسعاً وقد يلجأُ الاطباءُ الى ما يماثلهُ في معالجتهم المصابين بامراض وهمية

قالت السيدة المشار اليها ان نجاح الطب الروحاني لا يقتصر على الامراض الباطنة بل يتناول الامراض الجراحية الظاهرة وذكرت لنا امرأَة اصيبت بخرَّاج كبير في احد ثدييها اشار الطبيب ببطهِ لكنها شُفيت منهُ بالطب الروحاني من غير بطّ . فقلنا ونحن نعرف امرأَة اصيبت بخرَّاج في ثدييها معاً وشُفيا كلاهما من غير بط ولا علاج روحي بل نعرف نساءً كثيرات أُصبنَ بخراجات في ثدييهنَّ وشفين منها من غير بط ولا علاج آخر غير الوسائط العادية التي يستعملها العجائز والقوابل في بلاد الشام ولو كان الطبُّ الروحاني خالياً من الضرر كما هو خالٍ من النفع لتُرِك اصحابهُ وشأنهم ولكنهُ كثير المضار كما لا يخفى وكما سنبينهُ في فرصة اخرى

(٥) مناجاة الارواح — يزعم المعتقدون مناجاة الارواح ان ارواح الموتى تبقى حول الاحياء ولكنها لا تؤثر الاَّ في القليلين منهم. والذي تؤثر فيهِ يسمى واسطة وهو مثل المستخدِم الذي يستخدم الجان في اقاصيص الاولين . حكى لنا بعضهم وهو من خاصة الانكليز انهُ يعرف سيدة مشهورة في باريس جلست معهُ مرةً في غرفة واستدعت هذه الارواح فحضرت جماعة كبيرة حتى ملأَت الغرفة وهو لا يراها . اما هي فضاقت بها ذرعاً من كثرتها واضطرَّت ان تخرج من الغرفة . فاذكرَنا قولهُ قصة سمعناها في حداثتنا وهي . ان رجلاً مستخدِماً للجان استدعاهنَّ ذات ليلة فحضرنَ جمّاً غفيراً جداً حتى امتلأَت بهنَّ غرفتهُ ولم يرَ سبيلاً لصرفهنَّ الاَّ ان اعطاهنَّ بلاسة سوداء وقال لهنَّ امضينَ واغسلنها حتى تبيض فمضينَ ولم يعدنَ . فقصصنا عليهِ هذه القصة وقلنا لهُ ان المستخدمين عندنا امهر من المستخدمين عندكم فصدق القصة واطفالنا يعدونها من الخرافات ويزعم معتقدو المناجاة ان هذه الارواح تنبئُ بالمستقبلات بواسطة القرع على الباب او النقر على المائدة . وان غالبها ارواح شريرة ولذلك تكذب على الناس وتسخر بهم

قلنا لواحد منهم على مَ لا تستخدم هذه الارواح للانباء بالمستقبلات فتخبر مثلاً عما يبلغهُ ثمن القطن بعد شهر او شهرين او ما تأول اليهِ حرب الترنسفال واسهم مناجم الذهب فيصير الواسطة من اغنى اهل الارض واقدرهم علي اذاعة مذهبهِ وآرائهِ بواسطة الكتب والجرائد فقال لاننا لا نعرف حتى الآن نواميس العالم الروحي ولا نعلم حدَّ علم الارواح ولا متى تصدق ولا متى تكذب

واتفق ان كان في معرض باريس مشعوذ يدَّعي انهُ يوصل افكارهُ بقوَّة روحية الى ذهن فتاة مغمضة العينين وكان المدَّعون مناجاة الارواح يحسبونهُ من الادلة على صدق دعواهم مع انهُ هو لا يدَّعي ذلك فذهبنا الى حيث يظهر قوتهُ في المكان المعروف "بالطواف حول العالم" فحضر مع فتاة اوقفها امامنا وادَّعى انهُ نوَّمها النوم المغنطيسي وعصب عينيها بعصابة سوداء ثم دار علي الحضور يسأَلهم عما يريدون ان تعرفهُ فكان الواحد منهم يخبرهُ باسمهِ همساً في اذنهِ فيلتفت اليها فتلفظ الاسم حالاً من غير تردُّد. ويريهِ آخر عدداً فيهِ كثير من الارقام فيلتفت اليها فتنطق بهِ كأَنها رأَتهُ مكتوباً امام عينيها . ولما وصل الدور الينا أَريناهُ ورقة بنك فيها عددان الواحد فيهِ اربعة ارقام والثاني فيهِ ثلاثة فالتفت اليهما ثم التفت اليها فنطقت بالعددين حالاً

وهذه الفتاة تستخدم قوتها في قراءة افكار الغير لا للشهرة بل للكسب . ولكن أَيصدّق احد انها تقف ساعة زمانية امام عشرة من الناس ليعطيها كلٌّ منهم عشرة سنتيمات او عشرين سنتيماً فلا يزيد المجموع على خمسة غروش الى ثمانية تقتسمها هي والرجل . فلو كانت تستطيع ان تقرأَ الافكار حقيقة لاستخدمها ملوك الارض ووزراؤُها وعظماؤُها واعطوها الف جنيه كل يوم على الاقل . ثم ان اختبار الناس في هذا العصر والعصور الغابرة كلها ينفي انتقال الافكار على هذه الصورة . أَفننقض اختبار أُلوف من السنين وملايين الملايين من الناس بقول رجل يتسوَّل غرشاً من زيد ونصف غرش من عمرو وهو لو اراد لملك كنوز الدنيا

قبل ان وصل المشعوذ الينا كنا نظن انهُ يفعل ما يفعل بتواطوء مع بعض الحضور ولكننا لما رأَينا الفتاة عرفت ما في الورقة التي أَريناهُ اياها جعلنا نتفرَّس فيهِ ولم نعد نلتفت الى الحضور فاكتشفنا حالاً سرَّ صناعتهِ وهو انهُ يشير باصابعهِ وعينيهِ وحاجبيهِ اشارات تدلُّ على الحروف والارقام فكأَنهُ يتكلم مع الفتاة بلغة الخرس . والظاهر ان في العصابة السوداء زجاجتين سوداوين شفافتين تراهُ الفتاة منهما وترى اشاراتهِ فتفهمها ولا غرابة في ذلك . وطلبنا منهُ ان يبطل الاشارات المذكورة فابى ثم صرَّح لنا على انفراد ان كل ما يفعلهُ آليٌّ

(ميكانيكي) لا واسطة روحية فيهِ . وكان واحد من المعتقدين مناجاة الارواح يتخذهُ دليلاً لهُ على صدق اعتقادهِ فلما كشف لهُ سرَّهُ قال ما يقولهُ غيرهُ من اهل هذه البدعة وهو ان كذب شاهد واحد لا يثبت كذب الشهود كلهم . ومن الغريب اننا رأينا المعتقدين مناجاة الارواح يجرون في اعمالهم كلها كما يجري سائر الناس لا يعتمدون الاَّ على شهادة مشاعرهم واختبارهم الآتي عن طريق الحس المادي واختبار غيرهم من الماديين فهم ماديون فعلاً ولو كانوا روحيين قولاً

باب الزراعة

كيف ترتقي الزراعة

تمهيد

اذا لاق باهالي القطر المصري ان يتمثلوا بامة من الامم الراقية مراقي الفلاح تمثلاً تجيزهُ احوال بلادهم وطبيعة ارضهم فلا اصلح لذلك من الأُمة الاميركية فان بلادها زراعية مثل القطر المصري وحاصلات القطر المصري التي يعتمد اهلوهُ عليها وهي القطن والحبوب تنتج من اميركا ايضاً وارتقاء الامة الاميركية حديث اخذت فيهِ منذ نحو مئة سنة اي حين ابتدأت ولاية العائلة العلوية على القطر المصري ولكن شتان بين ارتقاء تلك الأُمة الاميركية وارتقاء الامة المصرية في هذه المدَّة

وارتقاء الامة الاميركية عامٌّ شامل كل شيء ولكن ينبوع ثروتها الاوسع الزراعة وعليها اكثر اعتمادها ومنها اكثر ربحها . وقد وزّعت في معرض باريس كراريس مختلفة شرحت فيها تاريخ ارتقائها في العلوم والفنون والصنائع ومنها كراسة في ارتقاء التعليم الزراعي وما يتعلق بهِ للاستاذ دابني رئيس مدرسة تنسي الجامعة فرأينا ان نلخص منها ما تفيد معرفتهُ ابناء هذا القطر وسائر الاقطار الشرقية الزراعية وما يكون عبرةً لهم وذكرى فنقول

لما هاجر الاوربيون الى الولايات المتحدة الاميركية بعد اكتشافها كانت حراجاً غبياء كثيرة الوحوش يسكنها اقوام همج ناصبوا الاوربيين العداوة وفتكوا بكل من وصلوا اليهِ منهم ولم يكن عند هؤلاء المهاجرين ادوات للزراعة غير ما صنعوهُ بايديهم من المحاريث الخشبية

فكانهم كانوا على الفطرة الاولى . وكانوا يجهلون قواعد الزراعة والتسميد فيحرثون الارض الواحدة ويزرعونها سنةً بعد سنة الى ان تمحل ولا تعود تأتي بغلة فينتقلون الى غيرها ويزرعونها وهلمَّ جرًّا

ولم يهتمَّ احد من سكان اميركا بعلم الزراعة والقواعد الزراعية الاَّ في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن وكان السابق الى هذا الاهتمام وشنطون محرر اميركا . قال في رسالة بعث بها الى مجلس الأُمة في ٨ ينايرسنة ١٧٩٠ ان ترقية الزراعة والتجارة والصناعة بالوسائل الصالحة لذلك مما لا حاجة بي الى الحث عليهِ لاني واثق انكم توافقونني على انهُ لاشيء اجدر باهتمامكم من ترقية العلوم والفنون إما بمد يد المساعدة للمدارس العالية الموجودة الآن في البلاد او بانشاء مدرسة جامعة وطنية او بما يماثل ذلك مما يليق ان تبحثوا فيهِ . ثم عاد الى هذا الموضوع مرارًا وقال في رسالتهِ الثامنة التي بعث بها الى مجلس الامة ” لا يرتاب احدٌ في ما للزراعة من الاهمية الكبرى من حيث مصلحة الافراد ومن حيث مصلحة الامة وتزيد هذه الحقيقة ظهورًا بارتقاء الامة وازدياد عددها فتصير الزراعة من اهم ما تبحث فيهِ وتنشئ لهُ ما يرقيهِ وايُّ شيء اجدر من ذلك لتنفق عليهِ اموال الامة . ولا شيء مما ينشأُ لترقية الزراعة اقرب الى النجاح من المجالس الزراعية التي تجمع المعارف وتنشرها وتعطي الجوائز المالية لتساعد وتقوي الميل الى الاكتشاف والاصلاح . وقد دلَّ الاختبار على انها من اقل الوسائل نفقةً بالنسبة الى كثرة فوائدها للامة . فاتَّبع مجلس الأُمة مشورة رئيسها الاول وانشأ مجلسًا للزراعة

جمعية الزراعة ومعارضها

والظاهر ان وشنطون انتبه الى فائدة المجالس الزراعية من رؤْية الجمعيات الزراعية التي انشئَت قبيل ذلك في البلاد فقد أُنشئَت اول جمعية زراعية فيها في غرة مارس سنة ١٧٨٥ في مدينة فيلادلفيا وانتخب وشنطون وفرنكلين عضوين فيها . وكذلك انشئَت جمعية زراعية مثلها في كرولينا الجنوبية واهتمت بانشاء مكان للتجارب الزراعية . ثم انشئَت جمعية نيويورك الزراعية سنة ١٧٩١ ونشرت كتاب اعمالها في السنة التالية . وانشئَت جمعية مستشوستس الزراعية سنة ١٧٩٢ وابتدأَت في نشر اعمالها سنة ١٨٠٢ ويراد بالاعمال الكتاب الذي تنشر فيهِ خلاصة اعمال الجمعية والمقالات التي تتلى فيها ونحو ذلك . وكان وشنطون عارفًا بهذه الجمعيات وبالجمعيات الانكليزية التي أُنشئَت في ذلك الحين لترقية علم الزراعة وما يتعلق بهِ

ثم ان الجمعيات الزراعية دعت الى اقامة المعارض الزراعية فانشئ اول معرض وجمع المال لاعطاء الجوائز للعارضين فيهِ . واول مال جمع لتعطي منهُ الجوائز كان خمسين ريالاً اي

عشرة جنيهات مصرية لا غير وذلك سنة ١٨٠٥ . وهي بداءة صغيرة جدًّا ولكنها نمت لان اخلاق الامة وعاداتها تساعد على نموها فانشئَت الجمعيات الزراعية في كل الولايات الاميركية وصارت المعارض الزراعية وسيلة لنشر المعارف فيها وانشئَت فيها مجالس للزراعة تهتم بجمع الاحصاءات الزراعية وامتحان انواع العلف والسماد وما اشبه وبعضها يدير المدارس الزراعية وينشئُ المعارض ويعطي الجوائز وينشر المعارف والفوائد الزراعية في البلاد

ثم تنوَّعت الجمعيات الزراعية حسب فروع الزراعة المختلفة فاختصَّ بعضها بتربية البقر وبعضها بتربية الغنم وبعضها بتربية الخيل وبعضها بعمل الجبن والزبدة . فلعمل الجبن والزبدة ٥٦ جمعية ولتربية البقر ١٤ جمعية ولتربية الخيل ١٨ جمعية ولتربية الغنم ٢٩ جمعية ولتربية الخنازير ١٧ جمعية . وفي كل ولاية مجلس يهتم بامراض المواشي ومعالجتها هذا عدا ما في البلاد من الجمعيات لاصلاح الطرق ووقاية الغابات وزرع البساتين والجنائن

ولا بدَّ من ان يقف القارئ هنا ويقول كيف اهتمَّ الاميركيون بانشاء الجمعيات الزراعية منذ نحو مئة سنة فزاد عددها وتنوَّعت اشكالها عامًا بعد عام على حداثة عمرانهم ونحن سكَّان هذا القطر اهتمَّ والينا الطيب الذكر محمد علي باشا بترقية الزراعة في بلادنا كما اهتمَّ وشنطون بترقية الزراعة في بلادهِ لكن اهتمامهُ لم يثمر فينا كما اثمر اهتمام وشنطون في بلادهِ . والجواب ان الجمهور الاكبر من الاميركيين متعلم يعرف القراءة والكتابة ومبادئ العلوم الطبيعية والادبية فيقرأُ ما يكتب في المواضيع الزراعية ويفهمهُ لانهُ تعلم مبادئ العلوم والفنون. اما نحن فالذين يعرفون القراءة منا قلال جدًّا كما ظهر من الاحصاء الاخير والذين يفهمون ما يقرأُون في المواضيع العلمية لا يبلغون واحدًا في الالف من السكان كلهم هذا في آخر القرن التاسع عشر فكم كانوا اقل من ذلك في غرتهِ ولذلك ضاعت كل الوسائل التي بُذلت في اوائل هذا القرن لنشر المعارف الزراعية حتى ان الكتاب الزراعي الذي ترجم الى العربية وطبع في القطر المصري منذ سنين كثيرة لم نرَ منهُ نسخةً في بلاد الشام ولم نرَ منهُ الاَّ نسخةً واحدةً في القطر المصري ولم نرَ احدًا عارفًا بهِ غير واحد . ولا تزال الرغبة في العلوم والمعارف قليلة جدًّا عندنا حتى ان كثيرين من تلامذة المدارس الاميرية يبيعون الكتب التي يُعطَوْنها من نظارة المعارف بابخس ثمن كأَنهم يحسبون العلم والكتب العلمية من سقط المتاع . وقد انشئَت جمعية زراعية في القطر المصري منذ اكثر من عشرين سنة فلم تعش طويلاً لانها كانت كالحب الذي يبذر في ارض غير معدة لهُ او لأَن الذين انشأُوها كانوا طامعين بمساعدة الحكومة المالية فلما انقطعت هذه المساعدة او لم تُنل حسب المنتظر ماتت الجمعية وعفي اثرها

المدارس الزراعية

لما قام ليبغ الكيماوي في المانيا ونشر رسائلهُ المتعلقة بالكيمياء والزراعة تلقَّفها القرّاء في اميركا من المشتغلين بالزراعة تلقُّف العطاش للماء . وكانت الامة الاميركية قد شعرت بحاجتها الى العلوم العالية التي تستخدم في الصنائع والاعمال كالكيمياء والمساحة وعلم المعادن والآلات والى تعليم العلوم الزراعية فعينت مدرسة كولمبيا واحداً من اساتذتها استاذاً للتاريخ الطبيعي والكيمياء والزراعة . وبعد سنتين عينت جمعية فيلادلفيا الزراعية لجنة للبحث عن اسلوب لتعليم الشبان علم الزراعة وتخريجهم فيهِ فاشارت هذه اللجنة باساليب مختلفة لذلك وفي جملتها انشاء فروع لتعليم الزراعة في بعض المدارس الجامعة او تعليم معلمي المدارس الابتدائية العلوم الزراعية وجعلهم يعلمونها للفلاحين كأن تعليمهم اياها قسم ممَّا يُطلَب منهم

وزاد شعور الناس بالحاجة الى المدارس الزراعية رويداً رويداً وكثر الحث على انشائها سنة بعد سنة ولكن على غير طائل الى ان قام ستة آلاف نفس سنة ١٨٣٨ وقدَّموا عريضة الى الحكومة طلبوا منها ان تعين المال اللازم لمساعدة المدارس الزراعية فاحالت الحكومة هذه العريضة على لجنة تنظر فيها فنظرت مليًّا وقرَّرت انهُ ليس في البلاد كلها مدرسة تُعلَّم فيها العلوم الزراعية ولكن الحكومة لم تفعل شيئًا آخر وبقي امر المدارس الزراعية مهملاً الى سنة ١٨٥٠ وما بعدها حتى ان اول مدرسة زراعية في ولاية نيويورك لم تنشأ الاَّ سنة ١٨٦٠. ثم نشبت الحرب الاهلية فذهب رئيس المدرسة وتلامذتهُ الى الحرب فأُقفلت المدرسة ولم تفتح بعد ذلك . ولم ترَ الحكومة الاميركية سبيلاً الى انشاء المدارس الزراعية والانفاق عليها مع حاجة البلاد اليها وشدَّة طلبها لها الاَّ سنة ١٨٦٢ حين اقرَّ مجلس النواب ومجلس الشيوخ والرئيس لنكان على ان يوهب كل عضوٍ من النواب والشيوخ ثلاثين الف فدان من الاراضي الاميرية لمدرسة زراعية في بلادهِ فالولاية التي منها خمسة اعضاء توهب مئة وخمسين الف فدان هبة لمدرسة زراعية تنشأ فيها فبلغت مساحة الاراضي الاميرية التي وهبتها الحكومة الاميركية لانشاء المدارس الزراعية ثلاثة عشر مليون فدان اي اكثر من مضاعف كل الاراضي الزراعية في القطر المصري الاَّ ان قرار الحكومة الاميركية لم يجعل تلك المدارس تقتصر على تعليم الزراعة دون غيرها بل اباحت لها تعليم كل العلوم الصناعية

لكن المهتمين بامر التعليم الزراعي لم يكتفوا بذلك بل طلبوا من الحكومة ان تساعد المدارس الزراعية بالمال ايضاً وما زالوا يلجون في الطلب حتى اجابت طلبهم سنة ١٨٩٠ واقرَّت على ان تعطي كل ولاية خمسة عشر الف ريال من ثمن الاراضي الاميرية التي تبيعها

ثم تزيد هذا المبلغ الف ريال كل سنة حتى يصير في مدة عشر سنوات ٢٥ الف ريال وذلك لتعليم الزراعة والعلوم الميكانيكية والطبيعية والرياضية والاقتصادية التي تُعِدُّ الانسان لتعاطي الاعمال المختلفة

وهذان القراران اي سماح الحكومة لكل ولاية بمقدار كبير من الاطيان لمدارسها الزراعية او التي تعلم الزراعة وغيرها من العلوم العملية . وسماحها لكل ولاية بمبلغ طائل من المال عزَّزا المدارس الموجودة في البلاد وساعدا الاهالي على انشاء مدارس جديدة فبلغ عدد المدارس الكلية الزراعية المحضة ٢٧ مدرسة . وعدد المدارس الكلية التي تعلم الزراعة بين علومها ٣٤ وعدد المدارس الجامعة التي تعلم الزراعة ايضاً ١٩ . وهاك اسماء بعض هذه المدارس ودخلها السنوي وعدد تلامذتها

المدرسة	الارض الموهوبة لها	قيمة ممتلكاتها	دخلها السنوي	عدد تلامذتها
مدرسة كليفورنيا	١٥٠٠٠٠ فدان	٥٠٢٤٧٧٠ ريالاً	٥٣٤٢٠٧	١٩١٧
" ايلينويز	٤٨٠٠٠٠ "	١٧٨٩٠٨٣ "	٢٨٢٩١٢	٠٦٩٦
" انويانا	٣٩٠٠٠٠ "	١٠٣٠٠٠٠ "	١٥١٥٢٢	٠٦٩٢
" ايوي	٢٠٤٠٠٠ "	١٣٢٧١٨٥ "	١١٨٥١٦	٠٥٦٠
" مشيغان	٢٣٥٦٨٢ "	١٢٢٥٠٨٣ "	٠٩٩٦٧١	٠٤٧٠
" منيسوتا	٠٩٤٠٠٠ "	٣٠٢٧٤٣٩ "	٣٠٥٤٩٣	٢٥٥١
" نبرسكا	٠٩٠٠٠٠ "	١٠٤٤١٢٥ "	٣٥٢٠٠٠	٠٣٤٥
" نيويورك	٩٩٠٠٠٠ "	٩٢٣٢٢٥٧ "	٥٦٩٣٠٧	١٦٦٩
" اوهيو	٦٣٠٠٠٠ "	٣٢٢٠٤٦٩ ،	٤٦٢١٧٥	١١٢٥
" بنسلفانيا	٧٨٠٠٠٠ .	١٣٨٧٠٠٠ "	٠٩٨٩٤٥	٠٣٠٤
" سكونسين	٢٤٠٠٠٠	٢٤٢٢٠٠٠ "	٣٨٠٠٧٨	١٤٦٦

ويبلغ دخل هذه المدارس سنويًّا اكثر من ستة ملايين ريال اي نحو مليون وربع من الجنيهات . وهي تختلف في العلوم التي تفرضها على طالب الانتظام فيها والغالب ان شهادة الدراسة الابتدائية تكفي الطالب

الدروس ومدة التدريس

مدة التدريس في المدارس الزراعية اربع سنوات اثنتان منها للدروس العلمية الاستعدادية واثنتان للدروس الزراعية العالية والتمرُّن في الاعمال الزراعية . وقد اقرَّت لجنة طُلب منها

البحث عن العلوم التي يجب ان تعلّم والساعات التي يعلّم كل علم منها سواءٌ كانت من العلوم الاستعدادية او العلوم العالية على ان يخصّص الطالب ١٥ ساعة كل اسبوع للدرس اي لاستماع الخطب والتسميع وعشر ساعات للاعمال المختلفة ليقرن العلم بالعمل فتقسم الساعات في الدروس الاستعدادية هكذا

٧٥	ساعة	لعلم الجبر والمقابلة
٤٠	"	للهندسة
٤٠	"	لحساب المثلثات
٧٥	"	لعلم الطبيعة
٧٥	"	للعمل بعلم الطبيعة
٧٥	"	لعلم الكيمياء
٧٥	"	للعمل بالكيمياء
٢٠٠	"	لتعلم اللغة الانكليزية وآدابها
٣٤٠	"	لتعلم لغة حديثة
٦٠	"	للعلوم العقلية
٤٠	"	لعلم المنطق
٦٠	"	لعلم الاقتصاد
٨٠	"	لعلم التاريخ العام
٥٠	"	لعلم دستور البلاد
١٢٨٥	ساعة	والجملة وهي الدروس الاستعدادية

٤٨٦	ساعة	لعلم الزراعة
١٨٠	"	لعلم البساتين والحراج
١٨٠	"	لعلم التشريح وامراض الحيوان
١٨٠	"	لعلم الكيمياء الزراعية
١٨٠	"	لعلم النبات والفزيولوجيا النباتية وامراض النبات
١٢٠	"	لعلم الحيوان والحشرات
١٨٠	"	لعلم الفزيولوجيا
١٢٠	"	لعلم الجيولوجيا

	٠٦٠ ساعة	لعلم المتيورولوجيا
١٧٤٦	٠٦٠ "	لعلم الرسم
٣٠٣١		والمجموع الكلي

فاذا كانت السنة المدرسية ٣٦ اسبوعًا فقط وحُسبت ساعات العمل العشر بمقام خمس ساعات من ساعات التعلم بلغت الساعات في الاسبوع عشرين ساعة فقط وفي السنة المدرسية ٧٢٠ ساعة وفي السنوات الاربع ٢٨٨٠ اي ما يقارب مجموع الساعات في الجدولين السابقين والساعات المعينة لعلم الزراعة وهي ٤٨٦ ساعة تقسم هكذا

١٣٢ ساعة	لعلم الاستنبات (اغرونوميا)
١٦٢ "	لعلم تربية المواشي (زوتكنيا)
٠٧٢ "	لعلم الصناعة الزراعية (اغروتكنيا)
٠٦٠ "	لعلم الهندسة الزراعية
٠٦٠ "	لعلم الاقتصاد الزراعي او تدبير الاباعد
٤٨٦	

ويتضمن علم الاستنبات علم الاقليم وعلم التربة وعلم الحرث والصرف والري وعلم التسميد وعلم الزرع وعلم الحصد والجني . ويتضمن علم تربية المواشي مبادئ تأصيل الحيوانات وتجنيسها وعلم تعليفها وتدبيرها . ويتضمن علم الصناعة الزراعية استخراج الزبدة وعمل الجبن وعصر الزيت والخمر واستخراج السكَّر . وتتضمن الهندسة الزراعية عمل الطرق والمصارف والترع واساليب الري وبناء العزب وتركيب الآلات الزراعية . ويتضمن الاقتصاد الزراعي تاريخ الزراعة وتدبير الاباعد وقوانين الزراعة وحساب الزراعة

هذا وسنستطرد الكلام في الجزء التالي الى تنقلات التلامذة في المدارس الزراعية وادخال العلوم الزراعية الى المدارس الابتدائية وانشاء ديوان خاص بالزراعة الى غير ذلك مما نرى تفصيلهُ مفيدًا لنا لعلنا نقتفي الخطوات الاميركية في نشر العلوم الزراعية في هذا القطر وحث الحكومة على مساعدتنا في ذلك

زراعة النيل في الهند

يعلم المشتغلون بالزراعة في القطر المصري ان زراعة القطن فيهِ بلغت حدها من الاتساع فاذا زاد اتساعها حتى بلغ محصول القطن سبعة ملايين قنطار او ثمانية ملايين هبط سعر

القطن المصري حتى كاد يساوي سعر القطن الاميركاني فلم يعُد منهُ ربح كافٍ بل ان ربح القطر من موسم جيد لا يزيد على خمسة ملايين قنطار قد يكون اكثر من ربحهِ من موسم غير جيد يبلغ سبعة ملايين قنطار فيجب ان يبذل الاهتمام من الآن فصاعداً في اجادة نوع القطن لا في توسيع زراعتهِ

ومعلوم ان الاراضي الزراعية آخذة في الاتساع عاماً بعد عام ومتى تمَّ الخزان زاد اتساعها كثيراً فضلاً عما يصير يزرع زراعة صيفية مما لا يزرع الآن الاَّ زراعة شتوية فما هي المزروعات التي تزرع فيهِ غير القطن وتكون سوقها رائجة في اوربا . ويظهر لنا ان لزراعة النيلة مستقبلاً في بعض اراضيهِ الرخيصة وقد اطلعنا الآن على مقالة في الجزء الاخير من جريدة بيرصن الشهرية توصف فيها طريقة زرع النيلة في بلاد الهند واستخراجها فرأينا ان نلخصها عنها فنقول : كان اليونان والرومان يجلبون النيلة من بلاد الهند ولا يزال اهالي اوربا يجلبون النيلة من الهند حتى الآن لصبغ ثياب الجنود البرية والبحرية وثياب رجال البوليس والبوسطة لان صبغها ثابت لا ينفض بالهواء والمطر ولا يؤثر فيهِ ماءُ البحر مثل غيرهِ من الاصباغ وهي مستعملة لذلك في انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا وروسيا

ولا يُنتظر ان تنتشر زراعة النيلة في القطر المصري انتشاراً كبيراً لغلاءِ اطيانهِ وكثرة ضرائبها ولكن يمكن ان تزرع منها الوف من الفدادين لان زراعتها منتشرة في كل بلاد الهند يشتغل بها ملايين من الاهالي والانكليز في ثلاث ولايات منها ما مساحتهُ ٣٧٠ الف فدان يعمل فيها مليون ونصف من الاهالي وسبع مئة نفس من الانكليز ورأس المال الذي أُنفق في زراعة هذه الارض وحدها ومعامل استخراج النيلة منها خمسة ملايين من الجنيهات . فاذا ثبت ان زراعة النيلة رابحة في القطر المصري كما اكد لنا بعض الثقات الذين يزرعونها حتى الآن في مديرية الفيوم وانتشرت زراعتها في خمسين الف فدان لم يؤثر ذلك في سوقها تأثيراً يذكر فيستخدم في زراعتها مئتا الف نفس من الاهالي

وتقسم الاراضي التي يزرعها الانكليز نيلة في بلاد الهند الى اقسام كبيرة في القسم منها من الف فدان الى عشرة آلاف وتبلغ غلة الفدان منها من ١٥ رطلاً الى ٢٠ رطلاً

ولا بدَّ من ان تحرث جيداً كانها معدَّة لزرع الازهار وذلك بان تعزق اولاً عزقاً عميقاً باداة كالرفش ثم تحرث ثلاث مرات او اربعاً وتمهَّد جيداً حتى يصير ترابها ناعماً وتخطط ويزرع بزر النيلة فيها كما يزرع بزر اللفت فتظهر اوراقها الاولى بعد يومين او ثلاثة وتنمو رويداً رويداً الى ان يبلغ ارتفاعها من ثلاث اقدام الى خمس. ومادة الصبغ موجودة في الاوراق وتكون فيها

على اكثرها حينما تظهر الازهار وتكاد تتفتح . ولون الاوراق اخضر ضارب الى الصفرة ولكن يستخرج منها الصبغ الازرق

ونبات النيلة سريع العطب فاذا كثر المطر وهو صغير تلف واذا قلَّ المطر مدة نموهِ تلف ايضاً واذا بلغ جذرهُ ارضاً جافة ذوى ويبس . وكذلك يتلفهُ الدود والجراد والعشب فلا بدَّ من مقاومتها كلها

ويزرع نبات النيلة في كل بلاد الهند تقريباً ولذلك تختلف طرق زرعهِ واوقاتها باختلاف الاماكن التي يزرع فيها ففي ولاية بهار يزرع في فبراير ومارس حتى اذا اشتدَّ الحرُّ في مايو ويونيو ويبست الاعشاب كلها بقيت مزارع النيلة خضراء كاجود ما يكون واما في بنغالا السفلى حيث تغمر مياه نهر الكنك الارض سنويًّا فلا تزرع الارض الا بعد ان تنضب المياه عنها وتزرع الارض حينئذٍ ملقاً اي تبذر بزور النيلة فيها من غير حرث بل تمزج بالطين بواسطة الخوض فيهِ ولكن تنبت الحشائش الكثيرة مع نبات النيلة فلا بدَّ من استئصالها بالتعب الكثير والاَّ اماتتهُ

ومعامل استخراج النيلة متفرقة بين مزارعهِ حتى لا تدعو الحال الى نقل النبات مسافات طويلة . ويقطع النبات في اواخر شهر يونيو في بلاد بهار او حالما تبتدئ ريح الموسم الحارَّة تهبُّ على الارض ويشرع حالاً في استخراج النيلة وحينما يتمُّ استخراجها في اواسط اغسطس يكون النبات قد نما وبلغ ثانيةً فيقطع في اوائل سبتمبر وقد ينمو ويقطع ثالثةً بعد ذلك

وفي معامل النيلة حياض واسعة توضع حزم النبات فيها واقفةً لكي يتخللها الهواء بسهولة ثم يجري الماء اليها ولا تملأُ بالنبات لانهُ يتشرَّب الماء وينتفخ كثيرًا فيشقق جوانب الحوض اذا كان مملوًّا بهِ . ولا تمضي ثلاث ساعات حتى يبتلَّ ورق النبات بالماء ويطفو الزبد على وجههِ وبعد سبع ساعات اخرى تكون المادة النيلية قد خرجت من الورق وامتزجت بالماء . واذا أُشعلت شمعة حينئذٍ وأُدنيت من الحوض التهبت الغازات الخارجة منهُ وامتدَّ لهبها اذرعاً كثيرة

ويصب الماء من هذا الحوض الي حوض آخر تحتهُ ويستخرج النبات منهُ ويحفظ ليستعمل سماداً للارض التي تزرع نيلةً ويختلف لون الماء من البرتقالي الفاتح الى الاخضر الزيتوني ولا بدَّ من تحريكهِ تحريكاً دائماً حينئذٍ لكي تتعرَّض كل دقيقة للهواء . والهنود يضربونهُ بعصي من القنا الهندي ساعتين او ثلاثاً ثم يدورون حولهُ سريعاً حتى يتحرَّك حركة رحويَّة وترسب الرواسب منهُ هذا حيث الاعمال باقية على كيفيتها القديمة واما المعامل الحديثة ففيها دولايب

كدواليب السفن تدور في الحياض فتغني عن خبطها بالمخابيط ولكن لا بدَّ من رجل يلقي ملاءة على الزبد الذي يطفو على الماء ويغوص بهِ الى اسفل الحوض لكي يمتزج بسائر الماء ويكون الزبد ازرق في اول الامر ثم يصير ابيض ثم يزول . ويتغير لون السائل كثيرًا الى ان يصير ازرق غامقًا . ويُعلَم ما اذا كان خبط الماء كافيًا بصب قليل منهُ في صحفة فاذا رسبت النيلة منهُ حالاً وصار الماء صافيًا فالخبط صار كافيًا وحينئذٍ يخرج الخابطون من الحوض او يقف الدولاب عن الدوران . ثم يترك الماء في الحوض ساعتين او ثلاثًا فترسب النيلة منهُ ويصب في حوض آخر وتصفَّى النيلة في مصافٍ مختلفة ثم توضع في اناء من الحديد وتغلى حتى يقف الاختمار وتصفى ثانيةً الى ان تصير كالزبدة قوامًا ثم تضغط وتقطع وتلقى على اطباق من القنا لكي تجف

وقد هبط ثمن النيلة كثيرًا بسبب استعمال النيل الصناعي لكن النيل الصناعي لا يقوم مقام النيل الطبيعي ولا هو ثابت مثلهُ وهو يصنع في المانيا لكن الحكومة الالمانية منعت صبغ ثياب جنودها وبحارتها بالنيل الصناعي لانهُ غير ثابت واوجبت صبغها بالنيل الطبيعي لان لونهُ ثابت

القطن

عاد ثمن القطن الى الارتفاع فبعد ان بلغ ثمن القنطار في القونتراتات نحو عشرة ريالات ارتفع الى خمسة عشر ريالاً لان موسم القطن الاميركي يقل عن المتوسط نحو مليون ونصف مليون بالة ولان موسم القطن المصري لا يظهر انهُ يبلغ خمسة ملايين قنطار فقلة الموسم في اميركا ومصر وقلة المتأخرات من العام الماضي توجب ارتفاع ثمن القطن كما ارتفع او اكثر ولذلك لا نعجب اذا زاد ارتفاعهُ في الشهور التالية الاَّ اذا قضت المضاربات بهبوط ثمنهِ

اثمن الازهار

لا أجمل من الازهار البرية ولا اكثر منها انتشارًا ولا ارخص منها ثمنًا. ترى قطعان الغنم واسراب البقر تسرح في المروج والرياض ترعاها او تدوسها بارجلها من غير حساب لكن اغنياء الافرنج حاروا في ايجاد شيءٍ نادر يغالون بهِ فرأَوا ازهار النباتات السحلبية تتغير على صور شتى وتتلوَّن بالوان مختلفة فاخذوا النادر منها شكلاً ولونًا وغالوا فيهِ حتى صاروا يبيعون الواحدة منهُ بألف جنيه وأمثلة ذلك كثيرة عندهم . وقد جلبوا نوعًا نادرًا من السحالب من بلاد الهند سنة ١٨٥٧ ثم يبس عندهم ولم يعودوا يعثرون على مثلهِ . وقد انفقوا حتى الآن الفين وخمس مئة جنيه وهم يفتشون عن نبات مثلهُ فلم يجدوا . ولا تقتصر المغالاة على السحالب بل تتناول نباتات

كثيرة فقد رأينا صورة نبات من الزنجبيل ثمنهُ خمس مئة جنيه وصورة نبات آخر فيهِ ثلاث اوراق لا غير ثمنهُ مئة جنيه وصورة نخلة صغيرة دقيقة الخوص ثمنها اربعون جنيهاً

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الاعتناء بالعين

يجب الاعتناء بالعين من حين ولادة الطفل فانهُ قد يصيب عينيهِ في الاسبوع الاول بعد ولادتهِ مرض يعميهما. وهو يظهر باحمرار الجفنين وافراز مادَّة قيحية غزيرة . ولا بدَّ من المبادرة الى علاجهِ حالاً والاَّ ذهب بالبصر. ولا تفيد فيهِ الوسائط البسيطة التي يصنعها العجائز مثل لبن الام ومغلي البابونج بل انها قد تضرُّ كثيراً لانها تؤَخر استعمال الوسائط الفعَّالة التي يشير بها الطبيب . ويجب على من يلمس عيني الطفل حينئذٍ او شيئاً كان ملامساً لهما ان يغسل يديهِ جيداً بالماء السخن والصابون والاَّ نقل العدوى الى نفسهِ وغيرهِ فان نقطة صغيرة من القيح الذي تفرزهُ العين المصابة اذا دخلت عين انسان عمتها . وكل نزيف دموي ينزف من البدن مهما كان نوعهُ يجب ان توقى العين منهُ فلا يجوز لاحد ان يلمس نزيفاً بيدهِ ثم يلمس عينيهِ بها قبل غسلها

وتوقى عيون الاطفال من النور الساطع في البيت وخارج البيت . وحينما يراد ادخالهم المدرسة تفحص عيونهم لئلا يكون فيها خلل فاذا وُجد فيها خلل تفحص من وقت الى آخر ليرَى ما اذا كان خللها آخذاً في الزيادة او في النقصان . وقد يقاصُّ الصغار لانهم يكرهون الدرس ويكون سبب كراهتهم لهُ خلل في عيونهم يجعل الدرس متعباً لهم . واذا وجد خلل في العين وجب ان يعالج بالنظارات التي تصلحهُ . وهاك بعض القوانين التي يجب اتباعها في كل المدارس من قبيل صحة العيون

اولاً لا بدَّ من ان يكون النور كافياً في غرف الدرس وان يدخل عن يسار التلميذ وان لا تكون مساحة الشبابيك اقل من خمس مساحة ارض الغرفة اي ان الغرفة التي مساحة ارضها خمسون متراً مربعاً يجب ان تكون مساحة شبابيكها عشرة امتار مربعة على الاقل. واذا

كان اكثر الشبابيك الى الجهة الشمالية وجب ان تكون مساحتها اكثر من خمس مساحة ارض الغرفة لان النور الداخل من الجهة الشمالية لا يكون ساطعاً

ثانياً يجب ان تكون المكاتب مما يمكن ان يرتفع وينخفض حسب علو التلميذ لكي يبقى منتصباً ولا يلتزم ان ينحني

ثالثاً يجب ان يتم التدريس بواسطة الالواح السوداء والخرائط الكبيرة والكلام الشفاهي لا بواسطة القلم والقرطاس . واذا كان لا بدَّ من استعمال القلم والقرطاس وجب ان يعتمد على الحبر الاسود لا على قلم الرصاص ولا على لوح الحجر لان كتابة لوح الحجر وكتابة اقلام الرصاص غير ظاهرة جيداً فتتعب العين باستجلائها

رابعاً يجب ان لا يعطى التلامذة دروساً يضطرون الى تحضيرها في بيوتهم او ان يقلل منها على قدر الامكان لان الدرس ليلاً يتعب العينين كثيراً

خامساً اذا كانت عينا الولد ضعيفتين وجب ان تقلل دروسهُ كثيراً وكذا اذا كان نحيف البدن

سادساً لا يجوز ان تطبع كتب التدريس الَّا بحروف كبيرة واضحة من الجنس الاول وعلى ورق جيد . ويكون في الصفحة الواحدة حقلان بدلاً من حقل واحد حتى تكون السطور قصيرة فلا تتعب العين بانتقالها من سطر الى الذي تحتهُ كما اذا كان السطر طويلاً ويجب ان تكون السطور بعيدة بعضها عن بعض فيكون بين السطر والذي تحتهُ مليمتران

اما الكتب التي تطبع في المطبعة الاميرية المصرية فلا تصلح مطلقاً للتعليم ولعلها العلة الكبرى لما يرى من قصر البصر وضعف العيون في القطر المصري

واذا اصيب الطفل بالحوَل امكن اصلاح خلل عينهِ الحولاء احياناً كثيرة بنظارة يلبسها لان الحوَل ينتج غالباً من خطإٍ يُصلَح بالنظارات (العوَينات) . واذا ازمن فلا بدَّ لاصلاحهِ من عملية جراحية وهي بسيطة جدًّا لا يجوز اهمالها لان الحوَل عيب كبير قبيح والعملية بسيطة لا ضرر منها

اذا وقعت القذى في العين استقرَّت غالباً تحت الجفن الاعلى ويمكن ان تزال بسهولة بان يُقلَب جفن العين الاعلى وتمسح القذى مسحاً بمنديل ناعم فتزول واذا لم تزُل فالغالب ان العين تدفعها الى الموق الذي يلي الانف فلا تعود العين تشعر بها وتزول من نفسها مع الرمص واما اذا غرزت القذى في العين فلا بدَّ من الاستعانة بالطبيب على ازالتها

مقام المرأة

دخلنا امس الدار التي اقامت فيها مدام ده ستايل في ضواحي جنيفا ورأينا المكتبة الكبيرة التي كانت تجلس فيها وتنظم عقود البيان . تؤلف الكتب والروايات وتكاتب الجرائد بمقالات

تقيم الامبراطور بونابرت وتقعدهُ. ولم نكد نصل الى تلك الدار حتى تقاطر وراءنا الزوار واكثرهم من الاميركيين والانكليز الذين قرأُوا كتب هذه المرأَة الشهيرة واتوا لزيارة الدار التي سكنتها والتطواف في الغاب الذي كانت تمشي فيهِ . ورأَينا هناك صور كثيرين من الملوك والعظماء ولكن ما منهم من يذكر اسمهُ الآن كما يذكر اسمها او لهُ مقام في اندية الادب ودواوين الانشاء كما لها. ولم تزل هذه الدار على اتساعها مفروشة محفوظة معتنًى بها كما كانت في عهد تلك الكاتبة الشهيرة خزائن كتبها مملوءَة بنفائس الكتب وفاخر التحف والهدايا وكرسيها والمكتبة التي كانت عليها والغرفة التي كانت تقيم فيها وسريرها الذي كانت تنام فيهِ وصورها وصور زوجها وابنتها وابيها وامها وتماثيلهم. وقفنا في تلك الدار ساعة زمانية ونحن نفكر في مايولي الانسان العظمة الحقيقية سواءٌ كان رجلاً او امرأَة فقلنا كما قال غيرنا انما هو العلم والفضل ولكن لا يعرف الفضل الاَّ ذووهُ فلو قامت مدام ده ستايل في بلاد المشرق لنسي اسمها الآن وعفي اثرها

الاثاث الغالي هو الرخيص

من يزُرْ معارض اوربا يعجب من اعتناء الاوربيين باقتناء الاثاث المتين الذي يفني الدهر ولا يفنى من الخزائن والموائد والكراسي والاسرَّة وما اشبه . فلا يندر ان تجد في معارضهم وبيوتهم اثاثًا مضى عليهِ مئة سنة او مئتا سنة وهو على حالهِ من المتانة والبهاء كأَنهُ صُنع امس لان صنَّاعهُ صنعوهُ من خشب يابس متين واتقنوا صنعهُ حتى لا يستحلَّ احد اتلافهُ . ولم يبخل اصحابهُ على الصناع بدفع الثمن الذي يستحقهُ فاستخدموهُ هم واولادهم واولاد اولادهم ولم يزل محفوظًا بين التحف التي تتنافس بها البلاد وكل من ينظر اليهِ يقول الغالي هو الرخيص

خبز الزنجبيل

خذ ثلاثة دراهم من كبش القرنفل وثلاثة دراهم من البهارات (وهي تكون مجموعة ومدقوقة وتباع كذلك في قناني صغيرة باسم Allspice.) وملعقة من الزنجبيل ودق الجميع معًا في هاون واضف اليهِ عصارة نصف ليمونة حامضة وقشرها بعد تقطيعهِ قطعًا صغيرة وربع ليبرة من الزبدة واخلطها جيدًا واضف اليها نصف ليبرة من السكر المدقوق ونصف ليبرة من الدقيق ثم نصف ليبرة من الشراب وصب المزيج في اناءٍ من الصفيح واخبزهُ عشر دقائق ثم قطعهُ بسكين سيورًا دقيقة ولفهُ حتى يصير كاللوالب

باب الاخبار العلمية

التلغراف الاثيري

لما استنبط مركوني تلغرافهُ الاثيري اي الذي تصل بهِ الاشارات التلغرافية من مكان الى آخر من غير اسلاك معدنية قلنا ان لا بدَّ لهُ ان يتصرَّف في عمل آلاتهِ على طريقة تمتنع بها سرقة اخبارها بآلات توضع بينها . وقد نجح الآن في ذلك على ما قالهُ الاستاذ فلمنغ فقد صنع آلات توقَّع كما توقَّع الآلات الموسيقية حتى فلا يمكن لآلات غيرها ان تتأَثر باشاراتها . وزاد على ذلك انهُ صار يرسل رسالتين بآلة واحدة في وقت واحد فتصلان معاً . وقد امتحن الاستاذ فلمنغ هذه الآلة فطلب ان ترسل بها رسالتان واحدة انكليزية وواحدة فرنسوية فارسلتا مسافة ثلاثين ميلاً ووصلتا معاً

تجارة البلاد العثمانية

نشرت ادارة الجمارك العثمانية تقريرها عن الصادرات من البلاد العثمانية والواردات اليها من اول شهر مارس سنة ١٨٩٦ الى ٢٨ فبراير سنة ١٨٩٧ فاذا قيمة الصادرات منها والواردات اليها على ما في هذين الجدولين

الى انكلترا	٦٣١٣١٥٨٨٨	غرشاً
" فرنسا	٤٦٠٦٦٤٥٥٦	"
الى النمسا	١٤٩٦٦٧٧٧٧٦	غرشاً
" ايطاليا	٠٤٦٩١٦٣٣١	"
" روسيا	٠٣٨٢٧٧٢٢٢	"
" هولندا	٠٣٧٤٦١٧٧٧	"
" بلغاريا	٠٣٦٩٢٨٠٠١	"
" اليونان	٠٣٢٩٣٠٢٢٢	"
" الولايات المتحدة	٠٢٨٩٢٢١١٠	"
" المانيا	٠٢٦٩٦٤٤٤٣	"
" بلجكا	٠٢٢٩٠٣٤٤٤	"
" رومانيا	٠٢٢٠٩٣٤٤٤	"
بلدان أُخرى	٠٠٧٧٩٠٥٨٠	"
والجملة	١٥٤٢٨٤٥٧٩٤	

وهي تساوي ١٣٥٣٨٤٧٢ جنيهاً مصريًّا اي انها اقل من قيمة الصادرات من القطر المصري وحدهُ

وقيمة الواردات

من انكلترا	٨٥٦٧٧٣٨٨٤	غرشاً
" النمسا	٤٢٠٢٩٩٠٨٢	"
" فرنسا	٢١٠٠٩٣٩٥٩	"
" روسيا	١٧٥٢٢٩٩٥٨	"
" ايطاليا	٠٦٩٨٨٢٩١٧	"
" رومانيا	٠٦٧٥٥٣٩١٧	"
" بلغاريا	٠٦٧٢٦٧٦٦٧	"
" مصر	٠٦٤٩١٧٣٣١	"

من ايران	٠٥٨١٧١٧٩٣	غرشاً
" بلجكا	٠٤٩٣٥٧١٦٧	"
" اليونان	٠٣٩٣٠١٩٨٧	"
" المانيا	٠٢٠٩١٤٢٦٣	"
" هولندا	٠١٧٥٠٤١١١	"
" بلدان اخرى	٠١٨٧٠٢٥٩٥	"
والجملة	٢١٣٥٩٧٠٦٣١	

وهي تعادل ١٨٧٤٣٠٥٠ جنيهاً مصريا اي انها اكثر من قيمة الصادرات بنحو ثلاثة ملايين وثلث من الجنيهات المصرية فكيف لا تستنزف ثروة البلاد وقيمة الواردات اليها تزيد على قيمة الصادرات منها

غلاَّت اميركا

قدرت غلات الولايات المتحدة الاميركية الآن هكذا

	هذا العام	العام الماضي
القمح	٤٩٠ مليون بشل	٥٥٠ مليون بشل
الذرة	١٩٩٨ " "	٢١٠٠ " "
الاوت	٠٧٢٠ " "	٠٧٩٦ " "

ولذلك فموسم الحبوب في محْل هذا العام بالنسبة الى ما كان عليهِ في العام الماضي وهذا يقتضي ان ترتفع اسعارها

فنون السفر الى المعرض

للافرنج فنون من الجنون يستغربها المرء ولو لم يحكم على صاحبها بالجنون المطبق . من ذلك تباريهم في الذهاب الى معرض باريس على اساليب كثيرة المشقة قليلة النفع فان فتاة نروجيَّة اخذت على نفسها ان تمضي الى المعرض من غير ان تأخذ معها زادًا او نقودًا فكانت تخدم في اثناء الطريق وتغسل الثياب وتكاتب الجرائد لكي تكتسب ما يقوم بنفقاتها لا عن حاجة بل لانها اخذت على نفسها ان تفعل ذلك

ومن ذلك ان عائلة من امين رجلاً وامرأتهُ وابنيهِ وابنتيهِ ساروا الى المعرض لابسين في ارجلهم قباقيب ذات بكرات فوصلوهُ ماشين على هذه الصورة

ومنهُ . ان رجلاً انكليزيًا ساكنًا في اوبرتو قصد المعرض دبًّا على يديهِ ورجليهِ فوصل الى باب المدينة على هذه الصورة وهناك لقيهُ رجال البوليس ومنعوهُ عن السير كذلك

ومن هذا القبيل رجل من فينَّا قصد المعرض ماشيًا الى الوراء فلما سار ٢٥ ميلاً التقى بهِ رجال البوليس وحسبوهُ مختل الشعور فقبضوا عليهِ

ومنهُ . رجل حداد من برلين قصد المعرض حجلاً على احدى رجليهِ فسار خمسين ميلاً كذلك لكنهُ عثر حينئذٍ ووقع فكسر رجلهُ . والجنون فنون

الاوتوموبيل

قرب الزمن الذي يحرَّر فيهِ الفرس من استعبادهِ للانسان فقد رأينا مركبات الاوتوموبيل شائعة في اوربا حتى في البلدان

الجبلية منها . ويراد الآن استعمالها في الحرب بدل المركبات التي تجرها الخيل والبغال لنقل الزاد للجنود . وسيزيد استعمالها كثيرًا متى رخص ثمنها لان ثمن المركبة الكبيرة التي تسع اربعة لا يزال كثيرًا نحو مئتي جنيه والكثير الاتقان منها غالٍ جدًّا

فالمركبة التي سارت من باريس الى بردو ونالت قصب السبق بلغ ثمنها الفًا وخمس مئة جنيه ودُفع لصاحبها فيها الف جنيه فلم يبعها . وعند ارل كرنارڤون مركبة ثمنها ١٢٠٠ جنيه وعند المستر لوسن الانكليزي مركبة دفع ثمنها الف جنيه . ولكن الثمن يرخص بكثرة الاستعمال كما يكثر الاستعمال برخص الثمن . ولا يبعد ان نرى مركبة الاوتوموبيل تباع بمئة جنيه او حواليها كما تباع مركبة الخيل العادية

القياس الاطول

ينوي المستر داود جل مدير المرصد الفلكي في رأس الرجاء الصالح ان يقيس خط الهاجرة من القاهرة الى رأس الرجاء الصالح وطولهُ ١٠٤ درجات فاذا علم قياسهُ حلَّت مسائل كثيرة في جغرافية افريقية

الروافع وفرش الريش

شاعت الروافع في كل المباني العالية فتغني الناس عن السلالم وما يجدونهُ من المشقة في الصعود عليها . ويخشى على الروافع ان تنقطع حبالها وتقع بمن فيها وذلك نادر جدًّا ولا نظنهُ ممكنًا لثخن الحبال التي تعلق بها ولكن الاميركيين تلافوا ضرر سقوطها بان وضعوا فرشًا من الريش في البئر التي تحتها حتى اذا انقطعت حبالها ووقعت لم يُصَبْ مَن فيها بمكروه

الازهار العطرية

في اوربا ٤٢٠٠ نوعًا من الازهار التي تقطف وتستعمل في التجارة اكثرها ابيض اللون وبعضها اصفر وبعضها احمر . ومنها ما رائحتهُ عطرية ومنها ما لا رائحة طيبة لهُ كما ترى في هذا الجدول

الابيض	١١٢٤	نوعًا	والعطري منها	١٨٧
الاصفر	٠٩٥١	"	"	٠٧٧
الاحمر	٠٨٢٣	"	"	٠٨٤
الازرق	٠٥٩٤	"	"	٠٣٤
البنفسجي	٠٣٠٨	"	"	٠١٣
الوان اخرى	٠٤٠٠	"	"	٠٢٥
والجملة	٤٢٠٠			٤٢٠

فعشر الازهار الاوربية طيب الرائحة وكلها تستعمل ويستفاد منها

ربح المصورين

لما شرع ميلايز المصور الانكليزي في تصوير الاشخاص كان يأخذ اجرة الصورة ثلاثة جنيهات ثم اشتهر امرهُ رويدًا رويدًا فارتفع ثمن صوره حتى صار يأخذ اجرة الصورة الواحدة من صور الاشخاص ثلاثة

آلاف جنيه. وتوفي المصور لندسير الانكليزي سنة ١٨٧٣ فبلغت قيمة ما تركهُ مما اكتسبهُ بالتصوير ١٦٠ الف جنيه وبيعت الصور الباقية عندهُ من تصويرهِ بسبعين الف جنيه . ولما اشتهر امر المصور الفرنسوي ميسونية صوَّر صورة مسز ما كي الغني الاميركي فاخذ ثمنها عشرة آلاف جنيه . ونظرت مسز ما كي الى الصورة فلم تعجبها فمزقتها فاغتاظ ميسونيه منها ومزَّق السفتجة التي اعطتهُ اياها وقيمتها عشرة آلاف جنيه . ودُفع الى المصور اميل ديران الفرنسوي اربعة آلاف جنيه ليذهب الى اميركا ويصور المستر فندربلت ودُفعت اليهِ ايضاً نفقات سفرهِ ذهاباً واياباً

قلب كبير

توفي رجل بالامس في بلاد الانكليز من مرض قلبي وفتح جرَّاح رمتهُ فوجد قلبهُ كبيراً جداً مثل قلب الثور فان ثقل قلب الانسان عادةً احدى عشرة اوقية اي نحو رطل مصري واما قلب هذا الرجل فكان ٣٢ اوقية اي نحو اقَّة

◆

فهرس الجزء الرابع من المجلد الخامس والعشرين

٢٨٩ معرض باريس العام (مصوَّرة) وهي ٣٥ صفحة
٣٢١ مستقبل الصين
اللامير شكيب ارسلان
٣٢٧ المؤتمر الطبي الدولي الثالث عشر
لسعادة الدكتور حسن باشا محمود
٣٢٩ رواية تنكرد
للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد
٣٤٧ نظرٌ في عناية الاعاجم في اللسان العربي
للاستاذ سعيد الشرتوني صاحب قاموس اقرب الموارد
٣٦١ اوهام الخواص

٣٦٨ باب الزراعة ☆ كيف ترتقي الزراعة· زراعة النيل في الهند· القطن· اثمن الازهار
٣٧٨ باب تدبير المنزل ☆ الاعتناء بالعين· مقام المرأة· الاثاث الغالي هو الرخيص· خبز الزنجبيل
٣٨١ باب الاخبار العلمية وفيهِ ١٠ نبذ

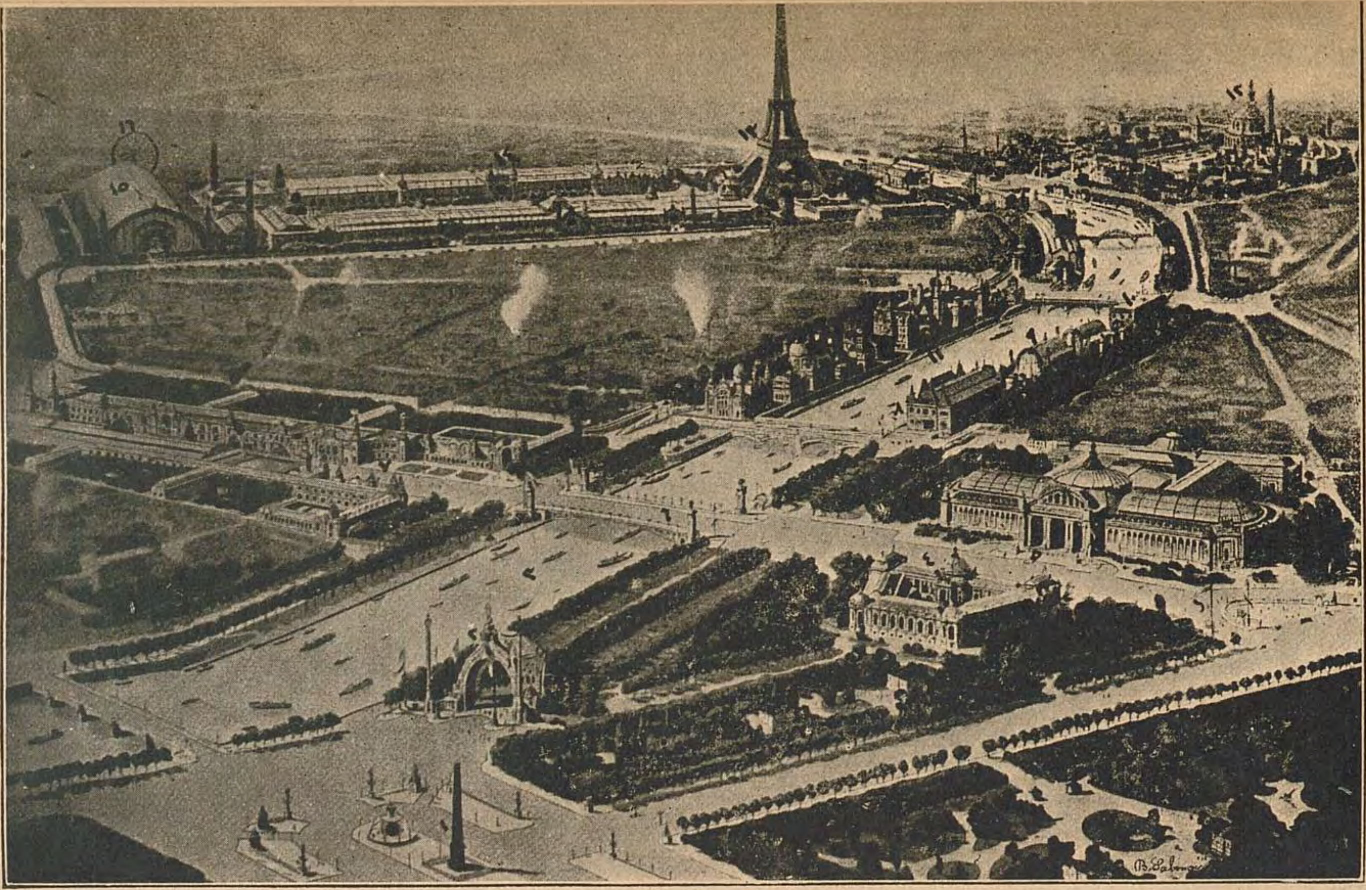

صورة مجملة للمعرض كما يُرى من مكان مرتفع في اللوفر. (١) المسلّة المصرية (٢) الباب الكبير (٣) نهر السين (٤) القصر الصغير (٥) القصر الكبير (٦) جسر الاسكندر (٧) معرض الانفاليد (٨) قصر مدينة باريس (٩) المعرض الزراعي (١٠) نادي المؤتمرات (١١) قصور الدول (١٢) التروكاديرو (١٣) برج ايفل (١٤) معرض شان دو مارس (١٥) دار الآلات (١٦) الدولاب الكبير